أسباب خراب الدول وتدميرها

التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ◆ العدد ٥٦٧ السنة الثامنة والأربعون - ربيع أول ١٤٤٠هـ ◆ الثمن ٣ جنيهات

زكاة المال الحرام

أسعد أسرة في العالم

التوسل .. أقسامه و أحكامه

أحكام الاستحاضة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾

رئيس مجلس الإدارة

أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

جماعة أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز

جمعية أنصار السنة المحمدية

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

د. مرزوق محمد مرزوق

محمد عبد العزيز السيد

إدارة التحرير

٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

المركز العام

WWW.ANSARALSONNA.COM
هاتف: ٢٣٩١٥٤٥٦-٢٣٩١٥٥٧٦

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

السلام عليكم

أسباب خراب الدول وتدميرها

إن شاء الله تعالى ستفلح مصر في دحر الإرهاب الذي يريد أن ينال منها أيًّا كان نوعه ومصدره.

والتاريخ والواقع شاهدان على هذه الحقيقة. وكل من أعلن الكيد لهذا البلد من خارجه ما كان مصيره إلا الهزيمة والفشل.

لكن يبقى العدو الحقيقي لأي بلد في الدنيا هو العدو الداخلي؛ النفاق والفسق.

المنافقون والفسقة أنزل الله تعالى بشأنهم سورة خاصة سماها «سورة المنافقون»؛ يحذر فيها رسوله صلى الله عليه وسلم منهم بقوله: « هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡ » (المنافقون: ٤).

لماذا؟ لأنه لا يأتي الخراب إلا بسببهم. ولا يقع الدمار إلا بفسقهم بما قالته ألسنتهم وما عملته أيديهم. فهم يحاربون الفضيلة، ويشجعون الرذيلة. فهم يعيشون مع الخير والإصلاح حقدا وكراهية، ومع الشر والفساد ترفا ورفاهية. فاسمع كلام الله فيهم: « وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا » (الإسراء: ١٦).

التحرير

مفاجأة كبرى

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٦ مجلداً من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٦ سنة كاملة

مطابع الأهرام التجارية قليوب - مصر

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

في هذا العدد

افتتاحية العدد: د. عبد الله شاكر ٢
نظرات في كتاب الرسالة: محمد عبد العزيز ٥
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ٩
باب الاقتصاد الإسلامي: د. حسين حسين شحاتة ١٠
دراسات قرآنية: مصطفى البصراتي ١٥
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
العقول الفقهية ووظيفتها: د. أحمد منصور سبالك ٢٠
درر البحار: علي حشيش ٢١
فقه المرأة المسلمة: د. عزة محمد ٢٣
منبر الحرمين: د. فيصل بن جميل ٢٦
المال وسيلة أم غاية: عبده أحمد الأقرع ٢٩
التوحيد أصل الدين وأساس الملة: معاوية محمد هيكل ٣٢
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: د. متولي البراجيلي ٣٨
باب الفقه: د. حمدي طه ٤١
الأخوة صفة نادرة ولزماننا مغادرة: د. عماد عيسى ٤٤
فقر المشاعر: د. محمد إبراهيم الحمد ٤٧
باب القراءات القرآنية: د. أسامة صابر ٤٨
الأسرة المسلمة: جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٦
قرائن اللغة والنقل والعقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
وللنساء نصيب: د. ياسر لمعي ٦١
من الأحداث الهامة في تاريخ الأمة: عبد الرزاق السيد عيد ٦٥
إعلام المسلمين والمسلمات بما جاء في العقارب والحيات:
المستشار أحمد السيد علي ٦٨
قواعد وآداب في التعامل بين الشيوخ والشباب:
د. عبد الرحمن صالح الجيران ٧١

سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيها بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولارا أو ١٠٠ ريال سعودي أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

١٠٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و ٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

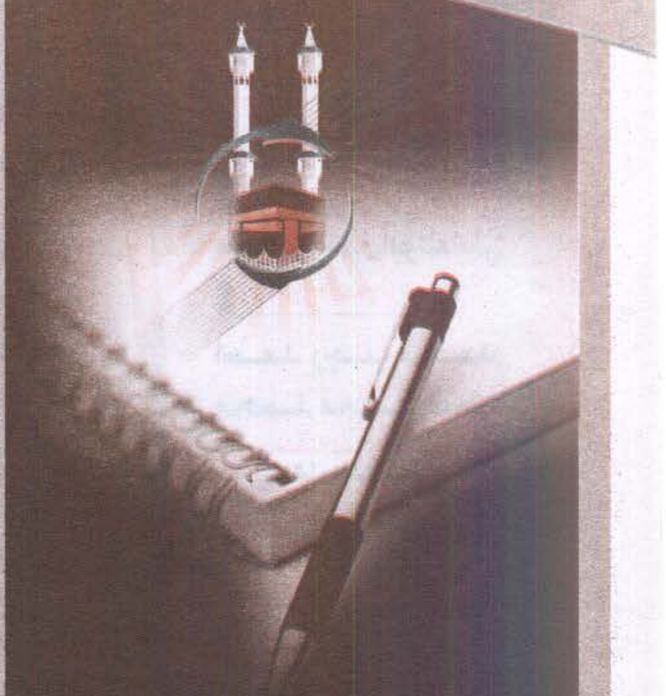

التوسُّل .. أقسامه وأحكامه

بقلم الرئيس العام
د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ شهد لنفسه بالوحدانية، وشهد له بها ملائكته المقربون، وأهل العلم من المؤمنين، وأشهد أن نبينا محمدًا عبدُه ورسوله المبعوث بالهدى ودين الحق للعالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيلهم واتبع طريقهم إلى يوم الدين، وبعدُ:

فقد أحدث الناس في شهر ربيع الأول من كل عام بدعة الاحتفال بالمولد النبوي، على صاحبه أفضل الصلاة والسلام، وهي بدعة حادثة بعد القرون المفضلة التي شهدت أحرص الناس على اتِّباع السنة، وأشدهم محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنصار السنة المحمدية على مدار تاريخها تبيِّن للناس وجه الحق في ذلك، وترشد إليه من باب النصيحة، وقد كتبت سابقًا على صفحات هذه المجلة الغرَّاء عن هذا الموضوع، وبيَّنت أن العبيديين الذين يسمون أنفسهم بالفاطميين هم الذين أحدثوا هذه البدعة، والملاحظ أنهم في احتفالاتهم يقعون في أمور تخدش العقيدة، وتؤثر في سلامة التوحيد.

وعلى رأس ذلك ما يقع من غُلُوّ في المديح وتوسُّل غير صحيح، ولذلك سأبين هنا- إن شاء الله- التوسل المشروع الذي يجب على المؤمنين سلوكه، وترك ما عداه ليسلم لهم معتقدهم، وأبدأ بتعريف التوسل في اللغة والاصطلاح، فأقول وبالله التوفيق:

التوسل في اللغة: التقرب. يقال: وسَّل فلان إلى الله وسيلة: إذا عمل عملاً تقرب

به إليه، وتوسل إليه بوسيلة: إذا تقرب إليه بعمل، وفي حديث الدعاء بعد الأذان: "اللهم آت محمدًا الوسيلة"، والمراد به في الحديث: القرب من الله تعالى، كما تطلق على المنزلة عند الملك، والدرجة. (انظر: لسان العرب ١١/٧٢٤).

الوسيلة في الاصطلاح: هي التقرب إلى الله بطاعته والعمل بما يرضيه، وقد ذكر ذلك ابن كثير عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: « ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ » (المائدة:٣٥)، وقال الشيخ الشنقيطي في تفسيره للآية: «اعلم أن جمهور العلماء على أن المراد بالوسيلة هنا: هو القربة إلى الله تعالى بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه على وفق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بإخلاص في ذلك لله تعالى». (أضواء البيان ٢/٩٧).

أنواع التوسل:

التوسل ينقسم إلى قسمين: توسُّل جائز مشروع، وتوسُّل بِدْعِيّ ممنوع، والمشروع له صور هي كما يلي:

١- التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، ودليل مشروعية هذا التوسل قول الله تعالى: « وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا » (الأعراف:١٨٠)، وقد ذكر البغوي في تفسيره أن رجلاً من المسلمين كان يصلي فدعا الله باسمه الرحمن، فقال بعض مشركي العرب: إن محمدًا وأصحابه يزعمون أنهم يعبدون ربًا واحدًا، فما بال هذا يدعون اثنين، فأنزل الله الآية. (انظر: معالم التنزيل ٢/٢١٧).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتوسل إلى ربه بأسمائه الحسنى، ومن ذلك قوله: «اللهم بعلمك الغيبَ وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي .... الحديث، (مسند أحمد ٤/٢٦٤، وصححه الألباني، ومن الأدلة الصريحة الواضحة في ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أصاب أحدًا قط هَمٌّ ولا حَزَنٌ فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عَدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سَمَّيت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، .... الحديث (أخرجه أحمد في مسنده ١/٣٩١، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/٣٣٦).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسًا، يعني ورجل قائم يصلي، فلما ركع وسجد وتشهد دعا فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنَّان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، إني أسألك،.. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «تدرون بما دعا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «والذي نفسي بيده، لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطى». (صحيح سنن النسائي ١/٢٧٩).

وكان أنبياء الله ورسوله يتوسلون إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى، ومن ذلك ما ذكره الله تعالى عن سليمان عليه السلام في دعائه: «قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ

في عبادك الصالحين» (النمل:١٩)، وقد دلت الآيات والأحاديث على مشروعية التوسل إلى الله-سبحانه وتعالى- بأسمائه وصفاته، وقد فعل ذلك الأنبياء والمرسلون، كما ورد في التنزيل، وفي الحديث عن النبي الأمين صلى الله عليه وسلم.

فائدة الأعمال الصالحة وجواز التوسل بها

٢- التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة، وهو توسل نافع للعبد ومشروع، ويكون سببًا في قضاء حاجات العبد ورفع درجته، وذلك بأن يسأل العبد ربه بأفضل أعماله الصالحة وأرجاها لديه، ومن ذلك الصلاة والصيام، والحج والعمرة، وقراءة القرآن، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وترْك ما حرَّم الله، ونحو ذلك، ودليل مشروعية هذا التوسل ما أخرجه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلَاءِ لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ. فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ، فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَسُقْهَا. فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ؟ فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَسَاقَهَا. فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ.

فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا، وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الْجُوعِ، فَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ.

فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، فَقَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ». (البخاري: ٢٤٦٥، ومسلم ٢٧٣٤).

فهذا الحديث يشير إلى ثلاثة رجال وقعوا في مهلكة عظيمة، وذلك حينما انطبقت عليهم سدّت فم الغار الذي هم فيه، فلم يجدوا أمامهم إلا أن يتوسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة المذكورة في الحديث، وهي أعمال جليلة عظيمة، نفعهم الله بها وزاحت عنهم الصخرة التي لو بقيت لوقع بهم موت محقق، وهذا يدل على فائدة الأعمال الصالحة وجواز التوسل بها.

قال النووي رحمه الله: «استدل أصحابنا بهذا على أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه، وفي دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله، ويتوسل إلى الله تعالى به؛ لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم، وذكره النبي صلى الله عليه وسلم في معرض الثناء وجميل فضائلهم». (شرح النووي على مسلم ١٧/٥٦).

وللحديث صلة بإذن الله.

نظرات في كتاب الرسالة للشافعي (٣)

إعداد: الشيخ محمد عبد العزيز

«الحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ»

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فهذا هو المقال الثالث تحت هذا العنوان: نظرات في كتاب الرسالة للشافعي، وكان المقال الأول كالتوطئة لهذا الموضوع، والمقال الثاني في ترجمة إمام الدنيا محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى، وهذا المقال الأخير في كتاب الرسالة خاصة، وسأتناول فيه ستة أمور باختصار، وهي:

١- سبب تأليف الكتاب.

٢- إبرازات الرسالة.

٣- اسم الكتاب.

٤- موضوعات كتاب الرسالة.

٥- أهم شروح الرسالة.

٦- أهم طبعات كتاب الرسالة.

سبب تأليف الكتاب:

سبق أن الشافعي رحمه الله تعالى هو أول من صنَّف في هذا الفن- أصول الفقه- فكان بذلك أول من ألف في قواعد الأحكام التي تبين أدلة الفقه الإجمالية، وتضبط للناس طرق الاستنباط منها، وسبق أيضًا أنه ما قصد وضع لبنة علم جديد وهو أصول الفقه، ولا شرع في تأليف كتابه ابتداء لهذا، وإنما وضعه بطلب من الإمام المحدث عبد الرحمن بن مهدي- رحمه الله تعالى- ففتح الله به أفق هذا العلم الجليل، قال البيهقي في معرفة السنن والآثار (١ /١٤٣/ ١٧١): «وهذا هو الذي أشار إليه عبد الرحمن بن مهدي، وهو أحد أئمة هذا الشأن، ولأجله صنف الشافعي كتاب الرسالة، وإليه أرسله».

وإنما تيسر ذلك للشافعي كما سبق لاجتماع علمي أهل الحديث، وأهل الرأي عنده، وتمتعه بهذه الملكة التقعيدية، قال النووي في وصف الشافعي (تهذيب الأسماء واللغات (٤٩/١)): «وهو المبرز في الاستنباط من الكتاب والسنة، البارع في معرفة الناسخ والمنسوخ، والمجمل والمبين، والخاص والعام، وغيرها من تقاسيم الخطاب، فلم يسبقه أحد إلى فتح هذا الباب؛ لأنه أول من صنف أصول الفقه بلا اختلاف ولا ارتياب».

إبرازات الرسالة:

لرسالة الإمام الشافعي إبرازتان مشهورتان:

الأولى: التي كتبها ببغداد أو مكة للإمام عبد الرحمن بن مهدي، وتعرف بالرسالة القديمة، أو العتيقة، أو البغدادية، أو العراقية، وهي التي كتبها عام: ١٩٥هـ تقريبًا، وقد خطها بيده، وأرسلها إلى

الحافظ عبد الرحمن بن مهدي مع الحارث بن سريج الذي سمي بالنقال؛ لنقله رسالة الشافعي لابن مهدي، وهذه لم يعد لها أثر إلا ما ينقله بعض أهل العلم منها كالجويني والغزالي، وقد لا تجد بعض العبارات التي ينقلها هؤلاء في الرسالة الجديدة.

الثانية: الكتاب الذي أملاه في مصر، ونقله عنه الإمام الربيع المرادي، وقد أملاها ما بين عام: ١٩٩هـ وهو عام دخوله مصر، وعام: ٢٠٤هـ وهو عام وفاته فيها، وقد رجح العلامة أحمد شاكر في مقدمة تحقيقه للرسالة أنها كانت إملاء قال (ص ١٢): «والراجح أنه أملى كتاب الرسالة على الربيع إملاء، كما يدل على ذلك قوله في (٣٣٧): " فخفف فقال: «عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ» (المزمل - ٢٠)، قرأ إلى: «فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ» (المزمل - ٢٠).

فالذي يقول " قرأ " هو الربيع، يسمع الإملاء ويكتب، فإذا بلغ إلى آية من القرآن كتب بعضها ثم يقول " الآية " أو "إلى كذا "، فيذكر ما سمع الانتهاء إليه منها، ولكن هنا صرح بأن الشافعي قرأ إلى قوله: «فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ» (المزمل - ٢٠).

والرسالة الجديدة هي التي في أيدي الناس الآن يتداولونها، وهي ليست كتابًا جديدًا، بل هي إبرازة ثانية محكمة من الرسالة القديمة.

وقد كانت الإبرازتان متداولتين في أيدي أهل العلم، يكتبونهما، أو تنسخ لهم، وممن كتبهما الإمام أحمد بن حنبل، ومما يشير إلى ذلك قول فوران: قسمت كتب الإمام أبي عبد الله (يعني: أحمد بن حنبل) بين ولديه، فوجدت فيها رسالتي الشافعي، "العراقية"، و"المصرية"، بخط أبي عبد الله-رحمه الله-. (انظر: ترجمة الإمام الشافعي في سير أعلام النبلاء: ١٠ / ٥٧).

اسم الكتاب:

ذهب بعض أهل العلم إلى أن الشافعي لم يسم كتابه بهذا الاسم: الرسالة، وإنما هو اسم اكتسبه الكتاب من إرساله لابن مهدي، قال الشيخ أحمد شاكر في مقدمة الرسالة (ص ١٢): «والشافعي لم يسم " الرسالة " بهذا الاسم، إنما يسميها (الكتاب) أو يقول " كتابي " أو " كتابنا ".

وانظر الرسالة (رقم ٩٦، ٤١٨، ٤٢٠، ٥٧٣، ٦٢٥، ٧٠٩، ٩٥٣) وكذلك يقول في كتاب "جماع العلم" مشيرا إلى "الرسالة " وفيما وصفنا ههنا وفي "الكتاب" قبل هذا " (الأم ٧: ٢٥٣).

ويظهر أنها سميت " الرسالة " في عصره، بسبب إرساله إياها لعبد الرحمن بن مهدي».

ويدل على اشتهار الكتاب باسم الرسالة في عصر الشافعي قول عبد الرحمن بن مهدي الذي كتب لأجله الشافعي كتاب الرسالة: «لما نظرت في كتاب الرسالة لمحمد بن إدريس أذهلتني؛ لأنني رأيت كلام رجل عاقل فقيه ناصح، وإني لأكثر الدعاء له». (تاريخ دمشق، لابن عساكر (٥١ / ٣٢٤)).

موضوعات كتاب الرسالة:

تناول كتاب الرسالة لب موضوعات أصول الفقه، فقد تناول موضوعين رئيسين، وموضوعات فرعية:

الموضوع الأول: أدلة الأحكام التي يستدل بها؛ وقد تناول تحته ستة من الأدلة، وهي:

الدليل الأول: القرآن، والثاني: السنة- وقد ذكر تحت هذا الدليل أبوابًا كثيرة من أبواب أصول الحديث، وهو أول مؤلف يذكر فيه هذه الجمل من أصول الحديث، وقد تناول تحته الحجة في تثبيت خبر الواحد- والثالث: الإجماع، والرابع: القياس، والخامس: الاستحسان، والسادس: أقاويل الصحابة، وقد تناول فيه أيضًا بيان مراتب الأخذ بالأدلة.

الموضوع الثاني: كيفية الاستدلال بالوحيين، وهو أكثر الكتاب، وهو الذي يعرفه كثير من أهل العلم بباب البيان، وقد تناول تحته: العام والخاص، والمطلق، والمقيد، والظاهر، والنص، وصفة الأمر والنهي، والناسخ والمنسوخ...

وأما الموضوعات الفرعية فقد تناول في كتابه:

- أنواع العلم من حيث كونها: عينية، أو كفائية، ومن حيث كونها قطعية، أو ظنية.

- الاجتهاد، وبيان جوازه، وأنه يقع على الظاهر من الأدلة للمجتهد.

- الاختلاف، وبيان أنواعه.

- بيان ضوابط الأخذ بالرأي.

- جمل الفرائض.

- جمل المحرمات.

وقد تناول في كتابه كثيرًا من الأمثلة من الكتاب

والسنة والمسائل الفقهية لإيضاح ما يريد، والكتاب كتب على الطريقة الحوارية بافتراض بعض المناظرين السائلين عن موضوع من الموضوعات، ثم يجيب عنه الإمام، ويورد المحاور بعض الإيرادات على القول، أو بعض الاعتراضات على الاستدلال، ثم يجيب عنها الإمام.

أهم شروح الرسالة:

عني كثير من أهل العلم بشرح كتاب الرسالة للشافعي، وقد ذكر عبد الله محمد الحبشي في جامع الشروح والحواشي (٢/ ٩٥٠، ٩٥١) منها تسعة شروح، وهي:

١- دلائل الأعلام في شرح رسالة الإمام، لأبي بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن يزيد الصيرفي المطيري (المتوفى: سنة ٣٣٠هـ).

٢. شرح رسالة الإمام الشافعي، لأبي الوليد حسان بن محمد بن أحمد بن هارون القرشي (المتوفى سنة: ٣٤٩هـ).

٣. شرح رسالة الإمام الشافعي، لأبي بكر محمد بن علي بن إسماعيل، (المتوفى سنة: ٣٦٥هـ)

٤. شرح رسالة الإمام الشافعي، لأبي بكر بن محمد بن عبد الله الشيباني الجوزقي النيسابوري (المتوفى سنة: ٣٨٨هـ).

٥. شرح الرسالة، لأبي محمد عبد الله بن يوسف، الجويني، والد إمام الحرمين (المتوفى سنة: ٤٣٨هـ).

٦. شرح الرسالة، لأبي زيد عبد الرحمن الجزولي المالكي (المتوفى سنة: ٧٤١هـ).

٧. شرح رسالة الإمام الشافعي، لجمال الدين الأفقهسي ابن العماد الشافعي (المتوفى سنة: ٨٠٨هـ).

٨. شرح الرسالة، لابن الفاكهاني.

٩. شرح الرسالة، لأبي القاسم عيسى بن ناجي المالكي(المتوفى سنة: ٨٣٧هـ).

(وجميع هذه الشروح لم يُطبع منها شيء، ولا يعلم أماكن وجودها، فحري بطلاب العلم تشمير ساعد الجد للبحث عنها في فهارس المخطوطات، لتخرج لعالم الطباعة).

١٠- سبك المقالة في شرح الرسالة، وهو شرح للرسالة لبعض المعاصرين، وهو: أ.د. محمد بن عبد العزيز المبارك، الأستاذ في كلية الشريعة- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام: ١٤٣٧هـ. (ويوجد منه نسخة pdf على الشبكة العنكبوتية).

وقد خرَّج أحاديث الرسالة، جمال الدين يوسف بن شاهين سبط ابن حجر العسقلاني (المتوفى سنة: ٨٩٩هـ) في كتاب سماه: ري الظمأ من صافي الزلالة بتخريج أحاديث الرسالة.

أهم طبعات كتاب الرسالة:

طبعت الرسالة طبعات كثيرة من أهمها ثماني طبعات، وهي:

الأولى: طبعة المطبعة العلمية عام: ١٣١٢هـ بتصحيح: يوسف صالح محمد الجزماوي.

الثانية: طبعة المطبعة الشرفية عام: ١٣١٥هـ، عن نسخة منقولة من خط الربيع، الناشر: الشيخ سليم سيد أحمد إبراهيم شرارة القباني.

الثالثة: طبعة المطبعة الأميرية بولاق عام: ١٣٢١هـ مع كتاب الأم للشافعي، وقد طبعت على نفقة السيد أتحمد بك الحسيني المحامي.

الرابعة: تحقيق: أبي الأشبال أحمد محمد شاكر، بتاريخ: ١٣٥٨هـ- ١٩٣٩م، وقد طبعته مطبعة: مصطفى البابي الحلبي، وقد أعاد تصوير هذه النسخة دار الذخائر، ولا شك أنها من أفضل طبعات هذا الكتاب، فلا تذكر طبعات كتاب الرسالة إلا ويذكر تحقيق العلامَة: أحمد شاكر، وقد اعتمد في تحقيقه على نسختين خطيتين، وهما: النسخة التي اعتقد أنها بخط تلميذ الشافعي الربيع بن سليمان المرادي، وأنها كتبت في حياة الشافعي- أي: قبل آخر رجب سنة: ٢٠٤هـ. وقد كتب الربيع عليها إذنا بنسخها عام: ٢٦٥هـ، وهذه صيغة إجازة الربيع نسخ الكتاب، قال في آخره: «أجاز الربيع بن سليمان صاحب الشافعي نسخ كتاب الرسالة، وهي ثلاثة أجزاء، في ذي القعدة سنة: خمس وستين ومائتين، وكتب الربيع بخطه».

ولنفاسة هذه النسخة اعتمد عليها فجعلها أصلاً لتحقيقه، والنسخة الأخرى: نسخة ابن جماعة، وقد جعلها فرعًا، والنسختان محفوظتان في دار الكتب المصرية، بالإضافة إلى الاستعانة بطبعات الكتاب الثلاثة السابقة، وقد وثق

المحقق السماعات التي كتبت على الرسالة التي اعتقد أنها بخط الربيع، والتي تبدأ من عام: ٣٩٤هـ، وتنتهي عام: ٨٥٦هـ، ووصفها بأنها سماعات متصلة الأسانيد، وقد بلغ عدد الأعلام في هذه السماعات ثلاثمائة اسم، وقد بلغ عدد السماعات التي سجلها الشيخ ٦٨ سماعًا تبدأ بالسماع على عبد الرحمن ابن عمر بن نصر عام: ٣٩٤هـ، وتنتهي بالسماع على الجمال بن جماعة عام ٨٥٦هـ.

وقد وقع للشيخ هنات في تحقيقه-والسعيد من عُدَّتْ أخطاؤه- وأغلب الهنات التي وقعت للشيخ أحمد شاكر في تحقيق الكتاب لأجل اعتماده نسخة الربيع أصلاً لا يحيد عنه ولو كان خطؤه لائحًا، وقد اعتنى الشيخ بذكر فروق النسختين في حاشية الكتاب، وقد قسم نص الكتاب إلى فقرات مرقمة بلغت: ١٨٢١ فقرة، وعلق عليه تعليقات ماتعة من الجهة الحديثية والفقهية.

وعلى طبعة الشيخ شاكر اعتمد د. محمد حاج عيسى في بحثه المقدم لنيل درجة التخصص (الماجستير) عام: ١٤٢١ هـ، بعنوان: التوضيح والتصحيح للمنقول عن الشافعي في علم الأصول، وقد انتقد تحقيق الشيخ شاكر في مواضع أصاب في أغلبها، وكلها راجع إلى المنهج الذي اتبعه الشيخ في تحقيق الرسالة، وهي رسالة علمية جيدة، اطلعت على بعضها.

الخامسة: تحقيق: خالد السبع العلمي، وزهير شفيق الكبي، وقد طبعته: دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ، وقد اعتمدا على تحقيق الشيخ أحمد شاكر، وإن زادا توثيق بعض الأقوال، واستكمال تخريج الأحاديث، وبعض التعليقات.

السادسة: تحقيق: د. عبد الفتاح ظافر كبارة، وقد طبعته: دار النفائس، الطبعة الثانية ٢٠١٠م، وقد اعتمد فيها على تحقيق الشيخ أحمد شاكر، وزاد عليه بعض التعليقات الأصولية، وبيّن قراءة الإمام الشافعي، وقد سبق أنه كان يقرأ بقراءة عبد الله بن كثير، وناقش الشيخ أحمد شاكر في بعض الترجيحات الحديثية والفقهية.

السابعة: تحقيق: د. رفعت فوزي، في أول تحقيقه لكتاب الأم، وقد حققه على نسختين خطيتين: الأولى: نسخة مكتبة أحمد الثالث، والأخرى: نسخة المكتبة المحمودية، بالإضافة لنسخة الشيخ أحمد شاكر، لكنه لم يجعل النسخة التي جعلها الشيخ شاكر أصلاً، بل عمل بطريقة النص المختار، ولم يجعل نص الرسالة في فقرات مرقمة كما فعل الشيخ أحمد شاكر؛ لأمرين: الأول: كبر حجم الرسالة. والآخر: أنها تقطع النص.

الثامنة: تحقيق: د. علي بن محمد بن ونيس، وقد طبعته: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ، وقد اعتمد في تحقيقه على ست نسخ خطية، وهي: نسخة من دار الكتب المصرية رقم: ٦٥٤٦، نسخة من المكتبة الأزهرية برقم: ٣٣٠٨٧، نسخة محفوظة بمكتبة برلين برقم: ١٨٢٧ or.otcms، نسخة من مكتبة تشستر بيتي تحت مجموع رقم: ٣٩٠٧ (١٠١- ١٨٥)، نسخة من مصورات مكتبة تشستر بيتي تحت مجموع رقم: ٣٣٨٥، نسخة من مصورات مكتبة تشستر بيتي تحت مجموع رقم: ٤٧٥١، وقد قدم للكتاب بمقدمة بلغت مجلدة كاملة، هذا بالإضافة إلى طبعة الشيخ أحمد شاكر، وبالإضافة إلى بعض ما يعتبر نسخ فرعية كنقول العلماء عن نص الرسالة كالبيهقي، وابن الأثير، وابن العراقي، والزركشي، وقد عمل في تحقيق الكتاب بطريقة النص المختار، وقد علق على الرسالة تعليقات أصولية ماتعة، وناقش الردود والمؤاخذات التي أوردت على الكتاب، وأثبت الأقوال التي للشافعي في المسألة، وكذا الوجوه التي لأصحابه، وقارن بين مصطلحات الشافعي ومصطلحات الأصوليين من بعده، وبسط بعض المباحث الحديثية التي تناولها الشافعي في أصول الحديث، وخرج أحاديثها، فهي أفضل طبعات هذا الكتاب.

وأختم هذه المقالة بقول المزني: «قرأت الرسالة خمسمائة مرة، ما من مرة منها إلا واستفدت فائدة جديدة لم أستفدها في الأخرى».

هذا ما يسره الله تعالى في تلك النظرات لكتاب الرسالة، وهي وإن كانت غير لائقة بمكانة الكتاب ومكانة صاحبه إلا أنها قد تفي بنظرة سريعة للمتعجل، والله أحكم، وأعلم.

باب التفسير

سُورَةُ مُحَمَّد ﷺ

الحلقة الثانية عشرة

قال تعالى: « إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ » (محمد: ٣٢).

إعداد د. عبدالعظيم بدوي

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا تَوْحِيدَ اللهِ، وَصَدُّوا النَّاسَ عَنْ دِينِهِ الَّذِي ابْتَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ «وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى» أي: وَخَالَفُوا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم فَحَارَبُوهُ وَآذَوْهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَلِمُوا أَنَّهُ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ، وَرَسُولٌ مُرْسَلٌ، وَعَرَفُوا الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ بِمَعْرِفَتِهِ، وَأَنَّهُ للهِ رَسُولٌ «لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا» لأَنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ، وَنَاصِرُ رَسُولِهِ، وَمُظْهِرُهُ عَلَى مَنْ عَادَاهُ وَخَالَفَهُ. (جامع البيان: ٢٦/٦٣).

«وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ» أي: مَكَايِدَهُمُ الَّتِي نَصَبُوهَا فِي إِبْطَالِ دِينِهِ تَعَالَى وَمُشَاقَّةِ رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم، فَلا يَصِلُونَ بِهَا إِلَى مَا كَانُوا يَبْغُونَ مِنَ الْغَوَائِلِ، وَلا تُثْمِرُ لَهُمْ إِلا الْقَتْلَ وَالْجَلاءَ عَنْ أَوْطَانِهِمْ.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ»:

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ يَأْمُرُهُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم الَّتِي هِيَ أَسَاسُ سَعَادَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا» (الأحزاب: ٧١)، وقال تعالى: « وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ » (النساء: ١٣).

ثُمَّ نَهَاهُمْ عَنْ أَنْ يُبْطِلُوا أَعْمَالَهُمْ كَمَا أَبْطَلَتِ الْكُفَّارُ أَعْمَالَهَا بِالإِصْرَارِ عَلَى الْكُفْرِ، فَقَالَ: «وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ»: الإِبْطَالُ: جَعْلُ الشَّيْءِ بَاطِلًا، أَيْ لا فَائِدَةَ مِنْهُ، فَالإِبْطَالُ تَتَّصِفُ بِهِ الأَشْيَاءُ الْمَوْجُودَةُ.

وَمَعْنَى النَّهْيِ عَنْ إِبْطَالِهِمُ الأَعْمَالَ: النَّهْيُ عَنْ أَسْبَابِ إِبْطَالِهَا.

قَالَ الْحَسَنُ: أَيْ لا تُبْطِلُوا حَسَنَاتِكُمْ بِالْمَعَاصِي. وَقَالَ

الزُّهْرِيُّ: بِالْكَبَائِرِ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ وَابْنُ جُرَيْجٍ: بِالرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: بِالْمَنِّ. وَالظَّاهِرُ النَّهْيُ عَنْ كُلِّ سَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُوصِلُ إِلَى بُطْلَانِ الْأَعْمَالِ، كَائِنًا مَا كَانَ، مِنْ غَيْرِ تَخْصِيصٍ بِنَوْعٍ مُعَيَّنٍ. (التحرير والتنوير: ٢٦/ ١٢٧).

وَأَوَّلُ مَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الرِّدَّةُ، لأَنَّ هَذَا النَّهْيَ جَاءَ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ» (محمد: ٣٢)، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» (محمد: ٣٤).

بَيَّنَ اللَّهُ سبحانه أَنَّهَا تُبْطِلُ الْأَعْمَالَ؛ فَقَالَ: «وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» (البقرة: ٢١٧).

وَالْإِحْبَاطُ بِالْكُفْرِ إِحْبَاطٌ لِلْأَعْمَالِ كُلِّهَا، حَيْثُ إِنَّ الْإِيمَانَ شَرْطُ قَبُولِ الْأَعْمَالِ، كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ.

وَمِمَّا يُحْبِطُ الْأَعْمَالَ: الرِّيَاءُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ: طَلَبُ الْمَنْزِلَةِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ بِإِيرَائِهِمْ خِصَالَ الْخَيْرِ، إِلَّا أَنَّ الْجَاهَ وَالْمَنْزِلَةَ تُطْلَبُ فِي الْقَلْبِ بِأَعْمَالٍ سِوَى الْعِبَادَاتِ، وَتُطْلَبُ بِالْعِبَادَاتِ، وَاسْمُ الرِّيَاءِ مَخْصُوصٌ بِحُكْمِ الْعَادَةِ بِطَلَبِ الْمَنْزِلَةِ فِي الْقُلُوبِ بِالْعِبَادَةِ وَإِظْهَارِهَا، فَحَدُّ الرِّيَاءِ هُوَ إِرَادَةُ الْعِبَادِ بِطَاعَةِ اللَّهِ. (إحياء علوم الدين: ٣/ ٢٩٧).

وَمِمَّا يُحْبِطُ الْأَعْمَالَ سُوءُ الْأَدَبِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:

قَالَ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ» (الحجرات: ٢).

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَقُّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَعْظَمُ الْحُقُوقِ بَعْدَ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَجِبُ أَنْ يُوَقَّرَ وَأَنْ يُحْتَرَمَ وَيُقَدَّرَ، وَيَجِبُ أَنْ يُتَأَدَّبَ مَعَهُ، فَلَا يُرْفَعُ الصَّوْتُ بِحَضْرَتِهِ فِي حَيَاتِهِ، وَلَا يُرْفَعُ عِنْدَ قَبْرِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَلَا يُرْفَعُ الصَّوْتُ فَوْقَ صَوْتِهِ وَهُوَ حَيٌّ، وَلَا يُرْفَعُ الصَّوْتُ فَوْقَ سُنَّتِهِ وَهُوَ مَيِّتٌ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُنَادَى كَمَا يُنَادِي النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، يَقُولُ تَعَالَى: «لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا» (النور: ٦٣)، لَا تَقُولُوا: يَا مُحَمَّدُ، يَا أَحْمَدُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُخَاطِبْ رَسُولَهُ إِلَّا بِلَفْظِ «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ» (المائدة: ٤١)، و«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ» (الأحزاب: ١)، وَأَنْتُمْ أَوْلَى وَأَحَقُّ بِهَذَا الْأَدَبِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

وَلَقَدْ تَأَدَّبَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِهَذَا الْأَدَبِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ. فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ مُنَكِّسًا رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ فَقَالَ شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. فَأَتَى الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ مُوسَى بْنُ أَنَسٍ: فَرَجَعَ الْمَرَّةَ الْآخِرَةَ بِبِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ. فَقَالَ: «اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» (صحيح البخاري ٤٨٤٦).

وَمِمَّا يُحْبِطُ الْأَعْمَالَ انْتِهَاكُ الْحُرُمَاتِ فِي الْخَلَوَاتِ، فَتَرَى الرَّجُلَ يُصَلِّي وَيَصُومُ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ، وَمَعَ ذَلِكَ إِذَا خَلَا بِالْحَرَامِ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْهُ مَانِعٌ:

عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عز وجل هَبَاءً مَنْثُورًا». قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ. قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا». (صحيح ابن ماجه ٣٤٢٣).

وَقَدْ عَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَؤُلَاءِ فَقَالَ: «يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا» (النساء: ١٠٨).

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا مِنْ ضَعْفِ الْإِيمَانِ، وَنُقْصَانِ الْيَقِينِ، أَنْ تَكُونَ مَخَافَةُ الْخَلْقِ عِنْدَهُمْ أَعْظَمَ مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ، فَيَحْرِصُونَ بِالطُّرُقِ الْمُبَاحَةِ وَالْمُحَرَّمَةِ عَلَى عَدَمِ الْفَضِيحَةِ

عِنْدَ النَّاسِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ قَدْ بَارَزُوا اللهَ بِالْعَظَائِمِ، وَلَمْ يُبَالُوا بِنَظَرِهِ إِلَيْهِمْ، وَاطِّلَاعِهِ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ مَعَهُمْ، عَالِمٌ بِهِمْ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافٍ مِنْ سِرِّهِمْ. (تيسير الكريم الرحمن: ٢/١٥٤).

وَمِنْ مُحْبِطَاتِ الْأَعْمَالِ الْمَنُّ بِالْعَطِيَّةِ وَالْهِبَةِ وَالصَّدَقَةِ:

لَقَدْ حَثَّ اللهُ تَعَالَى عَلَى الصَّدَقَةِ، فَقَالَ: « ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » (البقرة: ٢٦٢)، ثُمَّ نَهَى عَنِ الْمَنِّ فَقَالَ: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ » (البقرة: ٢٦٤).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللهُ لَهُمْ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا: عَاقٌّ، وَمَنَّانٌ، وَمُكَذِّبٌ بِالْقَدَرِ» (صحيح الترغيب: ٢٥١٣).

وَمِنْ مُحْبِطَاتِ الْأَعْمَالِ عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ:

وَالْمُرَادُ بِهِ صُدُورُ مَا يَتَأَذَّى بِهِ الْوَالِدُ مِنْ وَلَدِهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ إِلَّا فِي شِرْكٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ مَا لَمْ يَتَعَنَّتِ الْوَالِدُ. (فتح الباري: ١٠/٤٠٦).

وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا؟ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ-وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا- فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ. فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ» (صحيح البخاري ٢٦٥٤).

وَمِنْ شُؤْمِهِ أَنَّهُ يَمْنَعُ قَبُولَ الْأَعْمَالِ، وَيُبْطِلُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُمْ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا، عَاقٌّ، وَمَنَّانٌ، وَمُكَذِّبٌ بِالْقَدَرِ» (سبق تخريجه).

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! شَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، وَصَلَّيْتُ الْخَمْسَ، وَ أَدَّيْتُ زَكَاةَ مَالِي، وَصُمْتُ رَمَضَانَ! فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَكَذَا- وَنَصَبَ أُصْبُعَيْهِ- مَا لَمْ يَعُقَّ وَالِدَيْهِ» (صحيح الترغيب ٢٥١٥).

وَمِنْ مُحْبِطَاتِ الْأَعْمَالِ إِيذَاءُ الْجِيرَانِ:

إِنَّ الْجَارَ أَقْرَبُ إِلَى جَارِهِ مِنْ أَبِيهِ وَأَخِيهِ غَالِبًا، إِذَا دَعَاهُ أَجَابَهُ، وَإِذَا اسْتَغَاثَ بِهِ أَغَاثَهُ، وَإِنْ طَرَأَ لَهُ طَارِئٌ كَانَ الْجَارُ أَوَّلَ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ لِإِنْقَاذِهِ. لِذَلِكَ كَانَ حُسْنُ الْجِوَارِ مَطْلُوبًا بَلْ مَفْرُوضًا، قَالَ تَعَالَى: «وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا » (النساء: ٣٦).

وَمِنْ مُحْبِطَاتِ الْأَعْمَالِ تَرْكُ صَلَاةِ الْعَصْرِ:

قَالَ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ» (صحيح البخاري ٥٥٣). أَيْ: بَطَلَ كَمَالُ عَمَلِ يَوْمِهِ ذَلِكَ إِذْ لَمْ يُثَبْ ثَوَابًا مُوَفَّرًا بِتَرْكِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، فَتَعْبِيرُهُ بِالْحُبُوطِ وَهُوَ الْبُطْلَانُ لِلتَّهْدِيدِ.وَالَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ أَنَّ الْإِحْبَاطَ قِسْمَانِ:

أَحَدُهُمَا: إِحْبَاطُ الْكُفْرِ لِلْإِيمَانِ، وَهَذَا لَا تَنْفَعُ مَعَهُ الْأَعْمَالُ مُطْلَقًا، وَصَاحِبُهُ-إِنْ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ- خَالِدٌ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ. قَالَ تَعَالَى: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا » (الكهف: ١٠٣-١٠٦).

وَالثَّانِي: إِحْبَاطُ الْمَعَاصِي لِلْأَعْمَالِ، وَهَؤُلَاءِ تُوزَنُ أَعْمَالُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ مَعَ أَوَّلِ الدَّاخِلِينَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأَمْرُهُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ فِي النَّارِ بِعَدْلِهِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ. (فتح الباري: ١/١١٠).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الحلقة الثانية

التطبيق المعاصر للزكاة
زكاة المال الحرام

إعداد د. حسين حسين شحاتة
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

يؤكد الإسلام على أن يكون مصدر المال والنماء حلالًا طيبًا، وأصل ذلك قول الله تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (البقرة: ٢١٨)، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ما نقص مال من صدقة ولا يقبل الله صدقة من غلول» (رواه مسلم)، ولقد حرمت الشريعة كل أنواع الكسب الحرام وكذلك الوسائل المؤدية إليه لأن في ذلك اعتداءً على حقوق الآخرين والمجتمع.

ويثار تساؤل: هل على المال الحرام زكاة؟

لقد تناول الفقهاء هذه المسألة على النحو التالي:

من الفقهاء من يرى أن المال الحرام الخبيث يتم التخلص منه كلية في وجوه الخير وليس بنية الصدقة، ودليلهم في ذلك قول الله تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ) (البقرة: ٢٦٧)، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا... الحديث» (رواه مسلم)، وتأسيسًا على ذلك لا زكاة في المال الحرام، ولقد علل الفقهاء ذلك بقولهم بأن المزكي لا يمتلك هذا المال، وإن أراد التوبة فعليه رده إلي أصحابه أو التصدق به عنهم إن لم يَعرفهم، أو يُعطى المال لبيت المال للإنفاق منه على وجوه الخير.

ومن الفقهاء من يرى أن إعفاء المال الحرام من الزكاة يكون مشجعًا على الحرام ولا يكون قطعًا أو منعًا له، ويرون إخضاعه للزكاة، كما يرون أن صرف الكسب الخبيث في وجوه الخير أمر غير ممنوع شرعًا إذا لم يعرف صاحبه الذي أخذ منه بغير حق.

والرأي الذي نميل إليه هو عدم جواز الزكاة في المال الحرام، ويتصدق به كلية في وجوه الخير إذا لم يُعرف أصحابه.

حكم زكاة المال الذي اختلط فيه الحلال بالحرام

أحيانًا يكون المال حلالًا ولكن اختلط به مال حرام، ومن الأمثلة المعاصرة لذلك ما يلي:

- المال المودع لدى البنوك الربوية بفائدة، فعندما تضاف الفائدة إلي أصل المال أصبح المال مختلطًا، وبالمثل المال المستثمر في سندات بفائدة.
- مال التجار المستثمر في بضاعة بعضها من الخبائث.
- بالحلال والحرام.
- أرباح الشركات والأفراد الذين يتعاملون بالحلال والحرام.

ويرى الإمام الغزالي رحمه الله: «أنه يجب على المسلم التحري في مقدار الحرام فيخرجه، أما إذا كان أغلب ظنه أن الغالب هو الحلال فإنه يزكيه».

ومن باب الورع والتزكية والتطهير، يجب على المزكي الاجتهاد في تقدير المال الحرام

المختلط، ويتخلص منه في وجوه الخيرات لما فيه مصلحة الناس، ويزكي الجزء الحلال فقط، مع التوبة النصوح والعزم الأكيد على عدم العودة للمعاملات المشتبه فيها، ودوام الاستغفار.

حكم خضوع المال العام وأموال الجمعيات الخيرية وأموال الوقف وأموال القصر والنقابات المهنية للزكاة:

حكم خضوع المال العام للزكاة

إذا كان المال العام مخصصًا لأوجه إنفاق تدخل في نطاق مصارف الزكاة فلا يخضع للزكاة مثل: الأموال العامة المخصصة لخدمات الضمان الاجتماعي وللجهاد في سبيل الله، ولمساعدة الأقليات المسلمة ولدعم السلع للفقراء والمساكين وهكذا، وبصفة عامة فإن المال العام مرصد للنفع العام، وليس مملوكا لشخص معين أو جهة معينة حتى تقوم بأداء الزكاة وهذا ما صدر عن الندوة الثامنة لقضايا الزكاة المعاصرة لسنة ١٤١٨هـ/١٩٨٨م.

حكم خضوع أموال الجمعيات الخيرية للزكاة

لا تخضع أموال الجمعيات الخيرية للزكاة لأنها جميعًا مخصصة لأوجه البر التي تدخل في نطاق مصارف الزكاة الشرعية، كما لا تخضع أموال المساجد وكتاتيب تحفيظ القرآن للزكاة لأنها جميعًا مخصصة لأوجه البر التي تدخل في نطاق مصارف الزكاة الشرعية.

حكم خضوع أموال الوقف للزكاة

إذا كانت أموال الوقف موقوفة على أوجه خيرية تدخل في نطاق مصارف الزكاة، فليس عليها زكاة، وما كان موقوفًا على قوم بأعيانهم فتجب فيه الزكاة، فعلي سبيل المثال: إذا وقف مسلم دراهم أو بستان لينفق ريعها على الفقراء والمساكين وابن السبيل وفي سبيل الله مثلا فلا تجب فيه الزكاة، ولكن إذا وقف الريع على قرابته فقط، فتجب فيه الزكاة.

حكم خضوع أموال القُصَّر للزكاة

تخضع أموال القُصَّر للزكاة ويتولى سدادها عنهم الوالي أو الوصي، وذلك إذا وصلت النصاب وحال عليها الحول ولقد سبق أن أوردنا الأدلة الفقهية على ذلك.

حكم خضوع أموال النقابات المهنية للزكاة

مال النقابات المهنية مرصد لخدمة أعضاء النقابة، معاشات، تكافل اجتماعي، رعاية صحية، رعاية اجتماعية... وهذه كلها تدخل في نطاق مقاصد الزكاة فلا تجب فيها الزكاة، والمسألة تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث.

ضوابط التطبيق المعاصر للزكاة:

يحكم التطبيق المعاصر للزكاة مجموعة من الضوابط من أهمها ما يلي:

(١) استحضار النية: الزكاة عبادة لله وطاعة، ويستوجب ذلك تجديد النية دائما عند أداء الزكاة، واستشعار النماء والبركة والتزكية من الله سبحانه وتعالى مصداقًا لقوله تبارك وتعالى: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ» (التوبة: ١٠٣).

(٢) إيتاء الزكاة من دلائل الإيمان: الأموال محبوبة عند الخلائق لأنها من متاع وزينة الحياة، فإذا ضحى المزكي بالمال الذي يحبه امتثالا لأوامر الله، وطمعًا في رضائه عز وجل فهذا دليل على قوة الإيمان، ولقد أشار إلى ذلك الله سبحانه وتعالى في قوله: «لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» (آل عمران: ٩٢).

(٣) الزكاة حق وليست منة: يجب على المزكي الإيمان بأن الزكاة ليست هبة أو تبرعًا أو منة على الفقير والمسكين ونحوهم، بل حق معلوم لهم، مصداقا لقول الله تبارك وتعالى: «وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ» (المعارج: ٢٤-٢٥).

(٤) لا تحايل على إيتاء الزكاة: يقوم تطبيق الزكاة على قيم إيمانية وأخلاقية منها: الإخلاص، والصدق، والأمانة، والتضحية، وهذا يحمى المزكي من هوى نفسه الأمارة بالسوء نحو التحايل على أحكام الزكاة ليتهرب من أدائها يقول الله سبحانه وتعالى: «وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ» (الأنبياء: ٤٧)، وعندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (رواه البخاري ومسلم).

(٥) استشعار روح الأخوة: يجب على المزكي أن يوقن بأن الزكاة تُقَوِّي روابط الأخوة والحب في الله، كما أنها تطفئ الحقد والحسد والبغضاء وبذلك

يتواجد المجتمع المتكافل المتضامن المتآخي المتحاب، الذى ينطبق عليه قول الله عز وجل: « وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ »(التوبة: ٧١).

(٦) حُسن العلاقة بين العامل عليها والمزكين: يجب على العامل على الزكاة أن يعامل المزكين بالحسنى، وكذلك يجب على المزكين التعاون مع العاملين على الزكاة بالأمانة، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه عندما أعلن عن جمع الزكاة تحسس برفق مشاعر الحرص في الناس متلطفا في علاجها فقال: « سيأتيكم ركيب مبغوض يعني جامع الزكاة، فإذا جاءكم فرحبوا به، وخلوا بينهم وبين ما يبتغون، فإن عدلوا فلأنفسهم، وإن ظلموا فعليهم، وأرضوهم، فإن تمام زكاتكم رضاهم وليدعوا لكم» (رواه أبو داود).

(٧) التيسير في أداء الزكاة: يجب على العاملين على الزكاة التيسير على المزكي من حيث ميعاد أداء الزكاة، وتيسير أدائها نقدًا إن تعذر عينًا، وتيسير نقلها لذوى القربى والمحتاجين، والدين الإسلامي يقوم على التيسير ودليل ذلك: «ما خُيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما».

(٨) الالتزام بالمصارف الشرعية للزكاة: لقد حدد الله سبحانه وتعالى مصارف الزكاة ولم يتركها لولي الأمر يصرفها كيف يشاء، ولقد ذُكِرَتْ هذه المصارف في الآية الكريمة يقول فيها الله عز وجل: «إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » (التوبة: ٦٠).

(٩) التعجيل بأداء الزكاة: الأصل الفورية في أداء الزكاة لأنها من الحقوق الواجب سرعة أدائها لمستحقيها، وهذا يدخل في نطاق قول الله سبحانه عز وجل: «فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ»- ولا يجوز تأخيرها إلا لضرورة معتبرة شرعًا.

(١٠) مسئولية ولي الأمر عن الزكاة: يقع على ولي الأمر من المسلمين مسؤولية تجميع الزكاة وتوزيعها على مصارفها الشرعية، ودليل ذلك قول الله عز وجل: « ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ » (الحج: ٤١)، ولقد نفذ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعده الخلفاء الراشدين ومن مالهم.

حكم التطبيق المعاصر للزكاة بجانب الضريبة

أصبحت فريضة الزكاة من فرائض الزكاة المنسية، ولا سيما بعد تطبيق مفاهيم العلمانية (التي تقضي تنحية الدين عن حلبة الحياة) وكذلك تطبيق نظم الضرائب الوضعية في معظم الدول الإسلامية، وتخلي ولي الأمر عن مسئوليته في تحصيل الزكاة وإنفاقها في مصارفها الشرعية.

ولقد انشغل معظم المسلمين في هذه الأيام بأمر الضرائب خشية الوقوع تحت طائلة جريمة التهرب، ونسوا حق الله في المال وحرمة الامتناع عن أدائه.

لقد أصبح التطبيق المعاصر للزكاة من أهم القضايا التي تواجه المسلمين، ولا يجوز التهاون بشأنها مهما كانت التحديات لأنها تمسّ العقيدة والشريعة والمجتمع والأمة الإسلامية.

ومن أهم المشكلات المعاصرة التي تواجه تطبيق الزكاة هو تطبيق نظم الضرائب الوضعية، واختلف الفقهاء بشأن قضية التكامل والتنسيق بينهما في ضوء أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية فمنهم من يري « لا حرج من تطبيق الضريبة بجوار نظام الزكاة لأن لكل منهم موارد ومصارف خاصة »، ومنهم من يري أن الأصل هو تطبيق نظام الزكاة، وإن لم تكف الحصيلة تفرض ضرائب على الأغنياء بضوابط شرعية، كما تفرض الضريبة على غير المسلمين.

والرأي الأرجح الذي أخذت به مجامع الفقه هو: (إن ما يُفْرَض من الضرائب لمصلحة الدولة لا يُغْني القيام به عن أداء الزكاة المفروضة) (من قرارات المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٦٥م).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

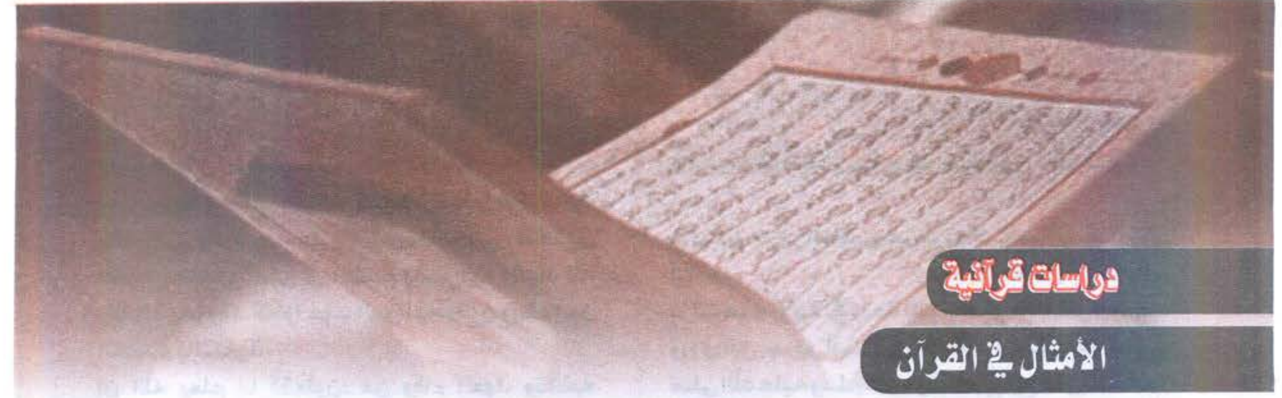

الوفاء بالعهد والتحذير من نقضه

إعداد: مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فهذا مَثَل من الأمثال القرآنيَّة، وهو في قوله تعالى من سورة النحل: « وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ » (النحل:٩١، ٩٢).

المعنى الإجمالي:

لما أمر الله المؤمنين بملاك المصالح ونهاهم عن ملاك المفاسد بما أومأ إليه قوله: «يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » (النحل:٩٠)، فكان ذلك مناسبة حسنة لهذا الانتقال الذي هو من أغراض تفنين القرآن، وأوضح لهم أنهم قد صاروا إلى كمال وخير بذلك الكتاب المبين لكل شيء.

وقد ذكرهم الوفاء بالعهد الذي عاهدوا الله عليه عندما أسلموا.

وهو ما بايعوا عليه النبي صلى الله عليه وسلم مما فيه: "ألا يعصوه في معروف، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ البيعة على كل من أسلم من وقت ابتداء الإسلام في مكة، وتكررت البيعة قبيل الهجرة وبعدها على أمور أخرى، مثل النصرة التي بايع عليها الأنصار ليلة العقبة ومثل بيعة الحديبية- والخطاب للمسلمين في الحفاظ على عهدهم بحفظ الشريعة، ثم نهاهم عن أن يكونوا مضرب مَثَل معروف في العرب بالاستهزاء وهو المرأة التي تنقض غزلها بعد شدِّ فتله- فعيَّر سبحانه مَن نقض شيئًا بعد أن أثبته- فدلَّ على أن كل ما كان إثباته مؤديًا إلى نفيه وإبطاله كان باطلًا. (انظر: التحرير والتنوير ٧/٢٦٠، إعلام الموقعين لابن القيم ٤/٢٠٩ بتصرف).

معاني المفردات:

وأوفوا: الوافي الذي بلغ التمام- وَفَى بعهده يفي وفاءً، وأوفى إذا تمم العهد ولم ينقض حفظه، واشتقاق ضده وهو الغدر يدل على ذلك وهو الترك والقرآن جاء بأوفى. (معجم مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني).

بعهد الله: عهد الله: كل ما يجب الوفاء به، من التزام أحكام الإسلام والوعود، وتنفيذ العقود والمشاركات والالتزامات والعهد: الحلف. (التفسير الوسيط للدكتور وهبة الزحيلي ٢/١٢٩٥).

في قوله: «وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ» (النحل:٩١) إبطال المحلوف عليه لا إبطال القسم، فجُعِل إبطال المحلوف عليه نقضًا لليمين؛ تهويلًا وتغليظًا للنقض لأنه نقض لحرمة اليمين.

إذا: لمجرد الظرفية؛ لأن المخاطبين قد عاهدوا الله على الإيمان والطاعة، فالإتيان باسم الزمان لتأكيد الوفاء، فالمعنى: أن مَن عاهد وجب عليه الوفاء بالعهد. (التحرير والتنوير لابن عاشور).

عاهدتم: وعهد الله: لفظ لجميع ما يُعقد باللسان ويلزمه الإنسان، من بيع أو صلة أو مواثقة في أمر موافق للديانة.

ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها: أي بعد تشديدها وتغليظها وتوثيقها بزيادة الأسماء والصفات، وقيل: إن تأكيد اليمين هو حلف الإنسان على الشيء الواحد مرارًا- والتوكيد: التوثيق.

(فتح البيان لصديق حسن خان ٤/٧٢).
وقد جعلتم الله عليكم كفيلًا: الكفيل: الشاهد والضامن والرقيب على الشيء المراعي لتحقيق الغرض منه، والمعنى أن القسم باسم الله إشهاد لله وكفالة به، وقد كانوا عند العهد يحلفون ويشهدون الكفلاء بالتنفيذ.
إن الله يعلم ما تفعلون: من وفاء العهد ونقضه فيجازيكم بحسب ذلك إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، وفيه ترغيب وترهيب. (فتح البيان للقنوجي ٤/٧٣).
ولا تكونوا: فيما تصنعون من النقض بعد التوكيد.
كالتي نقضت غزلها: أي ما غزلته، والغزل هنا مصدر بمعنى المفعول أي المغزول.
والقوة: إحكام الغزل، أي نقضته مع كونه محكم الفتل لا موجب لنقضه، فإنه لو كان فتله غير محكم لكان عذرٌ لنقضه.
والإنكاث: جمع نكث-بكسر النون وسكون الكاف- ما ينكث فتله ليغزل ثانيًا بمعنى منكوث أي منقوض-
قال ابن قتيبة: هذه الآية متعلقة بما قبلها والتقدير: وأوفوا بعد الله ولا تنقضوا الأيمان فإنكم إن فعلتم ذلك كنتم مثل امرأة غزلت غزلًا وأحكمته ثم جعلته أنكاثًا أي أقطاعًا وأجزاءً.
تتخذون أيمانكم دخلًا بينكم: قال الجوهري: الدخل المكر والخديعة، وقال أبو عبيدة: كل أمر لم يكن صحيحًا فهو دخل، وقيل: الدخل ما أدخل في الشيء على فساده.
وقال الزجاج: غشًا وغلًا، وقيل أحبل الدخل العيب، والعيب ليس من الشيء الذي يدخل فيه. (فتح البيان ٤/٧٣).
«أن تكون أمة» والمعنى التعليل، وهو علة لنقض الأيمان المنهي عنه، أي تنقضون الأيمان بسبب أن تكون أمة أربى من أمة، أي أقوى وأكثر.
والأمة: الطائفة والقبيلة، والمقصود طائفة المشركين وأحلافهم.
أربى: جماعة، أي أكثر عددًا منها وأوفر مالًا، يقال ربى الشيء يربو إذا كثر.
«إنما يبلوكم الله به»: أي يختبركم بكونكم أكثر وأوفر لينظر هل تتمسكون بحبل الوفاء أم تنقضون اغترارًا بالكثرة.
«وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون»: فيوضح الحق والمحقين ويرفع درجاتهم ويبين الباطل والمبطلين فينزل بهم من العذاب ما يستحقونه.

(انظر: فتح البيان والتحرير والتنوير، بصرف).

المعنى التفصيلي:

روى ابن جرير الطبري عن بُريدة، في بيان سبب نزول آية « وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ » (النحل:٩١)، قال: نزلت هذه الآية في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم، وروى ابن جرير أيضا: أن الآية نزلت في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم كان من أسلم يبايع على الإسلام، فقال تعالى: « وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ »... (النحل:٩١)، فلا تحملنكم قلة جند محمد وأصحابه، وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الإسلام وإن كان المسلمين قلة وفي المشركين كثرة. (التفسير الوسيط لوهبة الزحيلي ٢/١٢٩٥).
والمقصود من هذه الجمل كلها من قوله: « وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ » (النحل:٩١) إلى: «إِنَّ الله يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ» (النحل:٩١)، تأكيد الوصاية بحفظ عهد الأيمان، وعدم الارتداد إلى الكفر، وسدّ مداخل فتنة المشركين إلى نفوس المسلمين إذ يصدونهم عن سبيل الله بفنون الصد كقولهم: « نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ » (سبأ:٣٥)، كما أشار إليه قوله تعالى: « وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ » (الأنعام:٥٣)، وقد تقدم ذلك في سورة الأنعام. (التحرير والتنوير ٧/٦٣).
وأما قوله تعالى: « وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ » (النحل:٩٢) شبهت هذه الآية الذي يحلف أو يعاهد ويبرم عقده بالمرأة التي تغزل غزلها وتفتله محكمًا، وشبّه الذي ينقض عهد بعد الإحكام بتلك الغازلة إذ نقضت قويَّ ذلك الغزل فحلته بعد إبرامه.
ويروى أن امرأة حمقاء كانت بمكة تُسمى رَيْطة بنت سعد كانت تفعل ذلك، فبها وقع التشبيه. قاله عبد الله بن كثير، والسدوسي، ولم يسميا المرأة. (المحرر الوجيز لابن عطية ٥/٤٠٢).
فلا يجوز نكث العهد مع الاستقامة على الإسلام بل يجب الوفاء به ويحرم الخروج عليه وإن كان فاسقا، ثم قال تعالى: «إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ» (النحل:٩٢) أي يختبركم بما أمركم به من الوفاء بالعهد ليتبين الصادق في عهد ومحافظته عليه من الناكث، ثم يحكم بينكم بحكمه العدل فيجازي المحسن بإحسان بدخول دار السلام، والمسيء بإساءته بدخول دار الجحيم. (تفسير القرآن بالقرآن ٣/٤١٦).
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب السنة

سمات الأولياء وطريق الأنبياء

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فمع حديث جليل القدر، عظيم النفع، نتأمل في بعض ألفاظه ومعانيه، ونستضيء بهديه، ونسأل الله أن يوفقنا لسلوك سبيل أهل الرشاد.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ".

بقلم
د. مرزوق محمد مرزوق

أولاً: تخريج الحديث:

أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع (٦٥٠٢).

ثانيا: صحة الحديث:

الحديث صحيح، والحمد لله. وفي كيفية تصحيح العلماء للحديث مذهبان:

١- الأول: الجزم بصحته مطلقًا، واعتماد ثبوته بهذا السند الذي رواه البخاري به، وعلى رأس هؤلاء من الأئمة شيخ المحدثين البخاري الإمام وغيره من المتقدمين فضلاً عن تصحيح أكثر المتأخرين بل بالغ في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: "هذا حديث شريف قد رواه البخاري من حديث أبي هريرة وهو أصح حديث روي في صفة الأولياء".

٢- الثاني: تصحيح الحديث بشواهده؛ مع الحكم بضعف إسناد البخاري وممن ذهب إلى هذا: الشيخ الألباني وعزاه للذهبي كذلك. (ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: ١٦٤٠).

وعلى أية حال فالحديث منّة من الله على المؤمنين، وله منزلة عظيمة في نفوس السلف.

ثالثا: منزلة الحديث عند العلماء:

وَسَمَه العلماء بأفضل حديث روي في الولاية كما أسلفنا عن شيخ الإسلام.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "هذا حديث قدسي جليل؛ قَالَ الطوفي: هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ فِي السُّلُوك إِلَى الله، وَالْوُصُول إِلَى مَعْرِفَته وَمَحَبَّته وَطَرِيقه؛ إِذْ الْمُفْتَرَضَاتُ الْبَاطِنَةُ وَهِيَ الْإِيمَانُ، وَالظَّاهِرَةَ وَهِيَ الْإِسْلَام، وَالْمُرَكَّبُ مِنْهُمَا وَهُوَ الْإِحْسَانُ فِيهِمَا، كَمَا تَضَمَّنَهُ حَدِيثُ جِبْرِيل، وَالْإِحْسَان يَتَضَمَّنُ مَقَامَات السَّالِكِينَ مِنْ الزُّهْد وَالْإِخْلَاص وَالْمُرَاقَبَة وَغَيْرهَا" (ينظر فتح الباري: ١١ / ٣٤٥).

وقال الشوكاني رحمه الله في مقدمة كتابه (قطر الولي على حديث الولي، ص٢٢): "فإنه لما كان حديث (من عادى لي وليًّا) قد اشتمل على فوائد كثيرة النفع، جليلة القدر لمن فهمها حقّ فهمها، وتدبرها كما ينبغي، أحببت أن أفرد هذا الحديث الجليل بمؤلف مستقل، أنشر من فوائده ما تبلغ إليه الطاقة ويصل إليه الفهم، وما أحقّه أن يُفرد بالتأليف، فإنه قد اشتمل على كلمات كلها دُرر، الواحدة منها تحتها من الفوائد ما ستقف على البعض منه، وكيف لا يكون كذلك وقد حكاه عن الربّ سبحانه من أوتي جوامع الكلم، ومن هو أفصح من نطق بالضاد، وخير العالم بأسره، وأجل خلق الله، وسيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم؟. ولم يستوف شرّاح الحديث رحمهم الله ما يستحقه هذا الحديث من الشرح؛ فإن

ابن حجر رحمه الله لم يشرحه في فتح الباري إلا بنحو ثلاث ورقات مع أن شرحه أكمل شرح للبخاري، وأكثرها تحقيقاً، وأعمها نفعاً". انتهى.

رابعًا: فائدة تربوية من تخريج البخاري له:

أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب التواضع، ومناسبة ذلك أن عبادة التواضع هي من سمات أولياء الله تعالى، وأنه كلما سما العبد بنفسه تواضعًا لله كلما رفعه الله قربًا منه تعالى، ولا سبيل إلى ذلك إلا بهدي سيد المرسلين في تحقيق أوامر الشرع، وذلك خلافًا لمن ابتدع للولاية طريقًا يرفع فيه عن العباد ويهدم تكاليف لم يرفعها الله عن رسوله صلى الله عليه وسلم بل غالى المبتدع في بدعته حتى جعل لبعض الأولياء صفات لا تنبغي إلا لله تعالى؛ فاعتبروا يا أولي الألباب.

خامسًا: شرح الحديث:

قَوْله: "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا" المعاداة ضد الموالاة، والولي ضد العدو، المُرَاد بِوَلِيِّ الله: الْعَالِم بِالله، المُوَاظِب عَلَى طَاعَته، المُخْلِص فِي عِبَادَته؛ وَهذه صفة المؤمن التقي؛ ومعنى قَوْله: "عَادَى لِي وَلِيًّا" أَيْ: اتَّخَذَهُ عَدُوًّا، قَوْله: "فَقَدْ آذَنْته بِالْحَرْبِ" أَيْ: أَعْلَمْته أنه محارب لي، وفِي هَذَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ؛ لأَنَّ مَنْ حَارَبَهُ الله أَهْلَكَهُ، فَغَايَة الْحَرْب الْهَلَاك، وَاللَّه لَا يَغْلِبهُ غَالِبٌ، فَكَأَنَّ المَعْنَى: فَقَدْ تَعَرَّضَ لإِهْلَاكِي إِيَّاهُ.

وَقَالَ الطُّوفِيُّ: "لَمَّا كَانَ وَلِيُّ اللَّه مَنْ تَوَلَّى اللَّه بِالطَّاعَةِ وَالتَّقْوَى تَوَلَّاهُ اللَّه بِالْحِفْظِ وَالنُّصْرَة". انْتَهَى.

فأولياءُ الله تجبُ موالاتُهم، وتَحرُمُ معاداتُهم، كما أنَّ أعداءهُ تجبُ معاداتُهم، وتحرم موالاتهم، قال تعالى: «لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ» (الممتحنة: ١).

ثم ذكر أسباب الولاية فقال: "وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْت عَلَيْهِ" يَدْخُل تَحْتَ هَذَا اللَّفْظ جَمِيعُ فَرَائِض الْعَيْن وَالْكِفَايَة..؛ قال ابن رجب: "لَمَّا ذكر أنَّ معاداة أوليائه محاربة له، ذكر بعد ذلك وصفَ أوليائه الذين تحرُم معاداتُهم، وتجب موالاتهم، فذكر ما يتقرَّب به إليه، وأصل الولاية: القربُ، وأصل العداوة: البعدُ، فأولياء الله هُم الذين يتقرَّبون إليه بما يقرِّبهم منه، وأعداؤه الذين أبعدهم عنه بأعمالهم المقتضية لطردهم وإبعادهم منه، فقسم أولياءه المقربين إلى قسمين؛ أحدهما: من تقرَّب إليه بأداء الفرائض، ويشمل ذلك فعل الواجبات، وتركَ المحرَّمات؛ لأنَّ ذلك كُلَّه من فرائض الله التي افترضها على عباده. والثاني: من تقرَّب إليه بعدَ الفرائض بالنوافل، فظهر بذلك أنَّه لا طريق يُوصِل إلى التقرُّب إلى الله تعالى، وولايته، ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله، فمن ادَّعى ولايةَ الله والتقرُّب إليه، ومحبَّته بغير هذه الطريق؛ تبيَّن أنَّه كاذبٌ في دعواه".

قَوْله: "وَمَا يَزَالُ يَتَقَرَّب إِلَيَّ" التَّقَرُّب: طَلَبُ الْقُرْب، قَوْله: "بِالنَّوَافِل حَتَّى أَحْبَبْته" المُرَاد بِالنَّوَافِل جَمِيع مَا يُنْدَب مِنْ الأَقْوَال وَالأَفْعَال، والمعنى: إِنَّهُ إِذَا أَدَّى الْفَرَائِض وَدَامَ عَلَى إِتْيَان النَّوَافِل مِنْ صَلَاة وَصِيَام وَغَيْرهمَا أَفْضَى بِهِ ذَلِكَ إِلَى مَحَبَّة اللَّه تَعَالَى.

قَوْله: "كُنْت سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ":

" قِيلَ: المَعْنَى كُلِّيَّته مَشْغُولَةٌ بِي فَلَا يُصْغِي بِسَمْعِهِ إِلَّا إِلَى مَا يُرْضِينِي، وَلَا يَرَى بِبَصَرِهِ إِلَّا مَا أَمَرْتُهُ بِهِ؛ قال ابن رجب: "فمتى امتلأ القلبُ بعظمة الله تعالى، محا ذلك منَ القلب كلَّ ما سواه، ولم يبقَ للعبد شيءٌ من نفسه وهواه، ولا إرادة إلا لما يريدهُ منه مولاه، فحينئذ لا ينطقُ العبدُ إلا بذكره، ولا يتحرَّك إلا بأمره، فإنْ نطقَ نطق بالله، وإنْ سمعَ سمع به، وإنْ نظرَ نظر به، وإنْ بطشَ بطش به، فهذا هو المرادُ بقوله: " كُنْت سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا"؛ ومن أشار إلى غير هذا، فإنَّما يُشيرُ إلى الإلحاد منَ الحلول أو الاتحاد، والله ورسوله بريئان منه.

وقيل في قوله: (كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها": إنه عَلَى حَذْف مُضَاف، وَالتَّقْدِير: كُنْت حَافِظ سَمْعه الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، فَلَا يَسْمَعُ إِلَّا مَا يحل اسْتِمَاعُهُ، وَحَافِظ بَصره كَذَلِكَ الخ"؛ قَالَ الْخَطَّابِيُّ: "هَذِهِ أَمْثَال، وَالمَعْنَى تَوْفِيقُ اللَّه لِعَبْدِهِ فِي الأَعْمَال الَّتِي يُبَاشِرُهَا بِهَذِهِ الأَعْضَاء، وَتَيْسِير المَحَبَّة لَهُ فِيهَا بِأَنْ يَحْفَظ جَوَارِحه عَلَيْهِ وَيَعْصِمهُ عَنْ مُوَاقَعَة مَا يَكْرَه اللَّه مِنْ الإِصْغَاء إِلَى اللَّهْو بِسَمْعِهِ، وَمِنْ النَّظَر إِلَى مَا نَهَى اللَّه عَنْهُ بِبَصَرِهِ، وَمِنْ الْبَطْش فِيمَا لَا يَحِلّ لَهُ بِيَدِهِ، وَمِنْ السَّعْي إِلَى الْبَاطِل بِرِجْلِهِ". ا.هـ.

وَقَوْله: "وَلَئِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ": أَيْ مَا سَأَلَ؛ قَوْله: "وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ" أي: مما

يخاف؛ فذكر السؤال الذي به حصول المطلوب، والاستعاذة التي بها النجاة من المهروب، وأخبر أنه جل وعلا يعطي هذا المتقرب إليه بالنوافل ما سأل ويعيذه مما استعاذ؛... فيصير مجابَ الدعوة لكرامته على ربه.

قَوْله: "وَمَا تَرَدَّدت عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِن يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مُسَاءَتَهُ".

أَخْبَرَ أَنَّهُ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَيَسُوءُهُ، وَيَكْرَهُ اللَّه مُسَاءَتَهُ؛ قيل: هَذَا خِطَابٌ لَنَا بِمَا نَعْقِل، وَالرَّبُّ مُنَزَّهٌ عَنْ حَقِيقَتِه، بَلْ هُوَ مِنْ جِنْس قَوْله: "وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُه هَرْوَلَةً"؛ وقَد عَبَّرَ ابن رجب عَنْ هَذَا بِأَنَّ الْمَوْت حَتْم مَقْضِيٌّ، وَهُوَ مُفَارَقَة الرُّوح لِلْجَسَد، وَلَا تَحْصُل غَالِبًا إِلَّا بِأَلَمٍ عَظِيم جِدًّا كَمَا جَاءَ عَنْ عَمْرو بْن الْعَاص أَنَّهُ سُئِلَ وَهُوَ يَمُوت فقال: كَأَنِّي أَتَنَفَّس مِنْ خُرْم إِبْرَة، وَكَأَنَّ غُصْنَ شَوْكٍ يُجَرُّ به مِنْ قَامَتِي إِلى هَامَتِي؛ وَعَنْ كَعْب أَنَّ عُمَر سَأَلَهُ عَنْ الْمَوْت فَوَصَفَهُ بِنَحْوِ هَذَا؛ فلما كان الموت بهذه الشدّة، والله تعالى قد حتّمه على عباده كلهم، ولا بدّ لهم منه، وهو تعالى يكره أذى المؤمن ومساءته، سمَّى ذلك تردُّدًا في حقِ المؤمن. ا.هـ (ينظر فتح الباري: ١١ / ٣٤٥). (وكذلك جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب شرحه للحديث).

شبهة والجواب عنها:

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن معنى تردد الله في هذا الحديث؟

فأجاب: هذا حديث شريف، قد رواه البخاري من حديث أبي هريرة، وهو أشرف حديث روي في صفة الأولياء، وقد ردَّ هذا الكلام طائفة، وقالوا: إنَّ الله لا يُوصَف بالتردد، وإنما يتردد من لا يعلم عواقب الأمور، والله أعلم بالعواقب، وربما قال بعضهم: إنَّ الله يعامل معاملة المتردد.

والتحقيق أنَّ كلام رسوله حق، وليس أحد أعلم بالله من رسوله، ولا أنصح للأمة منه، ولا أفصح ولا أحسن بيانًا منه، فإذا كان كذلك؛ كان المتحذلق والمُنْكر عليه من أضلّ الناس وأجهلهم وأسوئهم أدبًا، بل يجب تأديبه وتعزيره، ويجب أن يُصان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الظنون الباطلة والاعتقادات الفاسدة؛ ولكنَّ المتردِّد منا -وإن كان تردُّده في الأمر لأجل كونه لا يعلم عاقبة الأمور- لا يكون ما وصف الله به نفسه بمنزلة ما يوصف به الواحد منا؛ فإن الله ليس كمثله شيء؛ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ ثم هذا باطل، فإن الواحد منا يتردد تارة لعدم العلم بالعواقب، وتارة لما في الفعلين من المصالح والمفاسد، فيريد الفعل لما فيه من المصلحة، ويكرهه لما فيه من المفسدة، لا لجهل منه بالشيء الواحد الذي يُحَبُّ من وَجْهٍ ويُكْرَهُ من وجه؛ كما قيل:

الشَّيْبُ كُرْهٌ وكُرْهٌ أنْ أفارقه
أعْجِبْ لشَيْءٍ على البغضاء محبوبُ

وهذا مثل إرادة المريض لدوائه الكريه، بل جميع ما يريده العبد من الأعمال الصالحة التي تكرهها النفس هو من هذا الباب، وفي الصحيح: "حُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِه، وَحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَات" (مسلم: ٢٨٢٢)، وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ﴾ (البقرة: ٢١٦)؛ ومن هذا الباب يظهر معنى التردد المذكور في هذا الحديث، فإنه قال: "وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِل حَتَّى أُحِبَّهُ"؛ فإن العبد الذي هذا حاله صار محبوبًا للحق محبًا له، يتقرب إليه أولاً بالفرائض وهو يحبها، ثم اجتهد في النوافل التي يحبها ويحب فاعلها، فأتى بكل ما يقدر عليه من محبوب الحق، فأحبه الحق لفعل محبوبه من الجانبين بقصد اتفاق الإرادة؛ بحيث يحب ما يحبه، ويكره ما يكرهه محبوبه، والرب يكره أن يسوء عبده ومحبوبه، فلزم من هذا أن يكره الموت؛ ليزداد من محاب محبوبه، والله عز وجل قد قضى بالموت، فكل ما قضى به فهو يريده، ولا بد منه؛ فالرب مريد لموته لما سبق به قضاؤه، وهو مع ذلك كارهٌ لمساءة عبده، وهي المساءة التي تحصل له بالموت، فصار الموت مرادًا للحق من وجه، مكروهًا له من وجه، وهذا حقيقة التردد، وهو أن يكون الشيء الواحد مرادًا من وجه مكروهًا من وجه، وإن كان لا بد من ترجح أحد الجانبين، كما ترجح إرادة الموت، لكن مع وجود كراهة مساءة عبده، وليس إرادته لموت المؤمن الذي يحبه ويكره مساءته كإرادته لموت الكافر الذي يبغضه ويريد مساءته.... إلى أن قال: والمقصود هنا: التنبيه على أنَّ الشيء المعين يكون محبوبًا من وجه مكروهًا من وجه، وأن هذا حقيقة التردد، وكما أنَّ هذا في الأفعال؛ فهو في الأشخاص، والله أعلم. ا.هـ من مجموع الفتاوى بتصرف يسير(١٨ / ١٢٩- ١٣٥).

وللحديث صلة في العدد القادم إن شاء الله؛ في بيان بعض ما يُستفاد من الحديث، والحمد لله رب العالمين.

الحلقة الثانية

العقول الفقهية ووظيفتها

إعداد د/ أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

أيها القارئ الكريم:

موعدنا اليوم مع العقل الثاني من العقول الفقهية ووظيفته، وعقل مقالة اليوم هو: العقل المخالف.

وهذا العقل ليس هو من يُخالف من أجل الخلاف وحسب، لكن هو صاحب الخلاف المعتدّ به، وميزان اعتباره هو وضوحه في منظومة الخلاف، بل وقبول هذه المنظومة له.

ولهذا يلزم صاحب هذا العقل دخوله في آخر منظومة الخلاف الأربعة، والتي هي:

أولاً: متى نختلف؟

ثانيًا: كيف نختلف؟

ثالثا: ما موقفنا من القول المخالف؟

رابعًا: ما موقفنا من صاحب القول المخالف؟

ثم بعد ذلك نقبل صاحب هذا العقل وبضوابطه وقواعد الخلاف المعروفة عند أهل العلم، وتعتبر هذه الضوابط هي الأصل في عمل (العقل المخالف) وبيان وظيفته، فلا بد أن يعلم أن المجتهد مأجور، رغم الملام عليه، وهذه أول هذه الضوابط.

مع العلم بأن المجتهد نوعان: مجتهد مطلق: يجمع الأحاديث والآثار مع القرآن الكريم، ويعلم اللغة العربية وعلومها، ويرتب الأدلة من حيث حجتها ترتيبًا موافقًا لقواعد أهل العلم في ذلك، ويعلم التخريجات المذهبية، والتي تُبْنَى فيها الفروع على القواعد الأصلية في المذهب.

ومجتهد نسبي يجمع السمات السابقة، لكن في المذهب الواحد، لا في المذاهب جُلّها.

وثاني هذه الضوابط أن يعلم صاحب هذا العقل أن خلافه هذا لا يكون حجة في إباحة ما فيه خلاف.

وثالثها أن يكون على علم بأنه ليس في الخلاف توسعة، بل التوسعة في الاجتهاد نفسه.

ورابعها: أن يقر بأن المقلد ليس له الخيار في الخلاف، وإلا أصبح مجتهدًا.

وخامسها: أن يعتقد أن لا إفتاء بالقولين، أو بالأقوال التي قام عليها الخلاف، وينبغي الإفتاء بالقول الراجح لدى المفتي من بين تلك الأقوال.

وسادسها: أن يعتقد يقينًا أنه ليس كل خلاف معتبرًا، كالخلاف الذي يرجح فيه المخالف، وكالخلاف الذي يمكن فيه الجمع بين المتعارضين، وكالخلاف اللفظي الذي لا أثر له، أو كالخلاف الذي له عذر.

أو كالخلاف الذي يرجع إلى تغيُّر الزمان أو المكان أو الشخص أو العرف والعادة، أو كالخلاف الذي لا يتوارد فيه القولان المختلفان أو الأقوال المختلفة على محل واحد، أو خلاف نتج عن تخريج مذهب أصله الاجتهاد أصاب فيه المجتهد أو قصر فيه وأخطأ، أو خلاف غير أهل الاختصاص كغير الفقهاء مثلاً، أو خلاف الفقيه الواحد، أو خلاف حرية رأي.

فكل هذا الخلاف لا اعتبار له في الميزان الفقهي؟ فمتى اختلف فيه واحد لا يعتبر من أصحاب العقول التي نطلق على إحدى صاحب عقل مخالف.

وسادس هذه الضوابط: ترك الخلاف في المقطوع فيه.

وسابعها: لا اعتبار بخلاف أهل الأهواء.

وثامنها: لا عبرة بخلاف سببه عارض.

وتاسعها: لا بد من أمر يَضع أعذار الفقهاء محل اعتبار في الخلاف.

وعاشرها: لا يُعتبر بخلاف لم يَقْوَ مَدركُهُ.

والحادي عشر: ألا ينكر على المختلف فيه.

والثاني عشر: أن يعتقد أن حكم الحاكم يرفع الخلاف.

والثالث عشر: أن يعلم أن الاجتهاد لا يُنقض بمثله.

والرابع عشر: أن تكون عنده العصمة للأمة لا للأئمة.

الخامس عشر: أن يتعامل بأدب الخلاف.

وآخرها: أن يعتقد أن استحباب الخروج من الخلاف من الدين.

بهذه الضوابط وبغيرها يكون صاحب العقل المخالف معتبرًا في كونه عقلاً مخالفا، وفي دخوله منظومة الخلاف، وقبوله على منضدة الخلاف.

فالتجرد للحق حق، والرجوع للحق عند الخلاف -لما يعلم صاحب هذا العقل أن الحقّ مع من يختلف معه أيضًا- حق. والحمد لله رب العالمين.

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

إعداد/ علي حشيش

الحلقة (٧٤)

٦٩٧- «إنَّ الأرضَ لتنجسُ من بولِ الأقلفِ أربعين يومًا».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسنده» (ح٨٢٠- الغرائب الملتقطة) من حديث علي بن أبي طالب مرفوعًا، وعلته داود بن سليمان الغازي.

قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٢٦٠٨/٨/٢): داود بن سليمان الجُرجاني الغازي عن علي بن موسى الرِّضا كذَّبه يحيى بن معين، ولم يعرفه أبو حاتم، وبكل حال فهو شيخ كذَّاب له نسخة موضوعة عن علي بن موسى الرضا». ثم ذكر سند هذه النسخة من علي بن موسى الرضا إلى علي بن أبي طالب، وذكر أن هذا الحديث منها. اهـ.

٦٩٨- «قال الله تعالى: لا ينجو مني عبدي إلاَّ بأداء ما افترضته عليه».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (١٧٢/١) بصيغة الجزم عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الحافظ في «تخريج الإحياء»: «لم أجده». اهـ.

٦٩٩- «مَن صلى بينَ المغربِ والعشاءِ عشرينَ ركعةً بنَى اللهُ له بيتًا في الجنة».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام ابن ماجه في «السنن» (ح١٣٧٣) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا، وعلته يعقوب بن الوليد المديني، قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٤٧/٧) (٢٠٥٧/٤): حدثنا ابن حماد، حدثني عبد الله، سمعت أبي- الإمام أحمد بن حنبل- يقول: يعقوب بن الوليد أبو يوسف يحدث عن هشام بن عروة كتبنا عنه ومزَّقنا حديثه منذ دهره، وكان من الكذابين الكبار يضع الحديث». اهـ. وقال ابن عدي: سمعت ابن حماد قال السعدي: «يعقوب بن الوليد غير ثقة ولا مأمون». اهـ.

وقال النسائي: «يعقوب بن الوليد ليس بشيء متروك الحديث». اهـ.

ثم ختم ترجمته قائلاً: «ويعقوب هذا عامة ما يرويه ليس بمحفوظ وهو بيِّن الأمر في الضعفاء». اهـ.

وقال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢١٦/٢/٤): «سألت أبي عن يعقوب بن الوليد المديني؟ فقال: منكر الحديث، ضعف الحديث، كان يكذب وهو متروك». ثم قال ابن أبي حاتم: «سئل أبو زرعة عن يعقوب بن الوليد؟ فقال: ليس بشيء وترك حديثه ولم يقرأ علينا». اهـ.

ونقل الحافظ الذهبي في «الميزان» (٩٨٢٩/٤٥/٤) أقوال هؤلاء الأئمة وأقرها، وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٣٧/٣): «كان ممن يضع الحديث على الثقات لا يحل كتابة حديثه على

جهة التعجب». اهـ.

٧٠٠- «أتمكم عقلاً أشدكم خوفًا لله تعالى، وأحسنكم فيما أمر الله تعالى به، ونهى عنه نظرًا».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (١٥٩/٤) بصيغة الجزم عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أقف له على أصل ولم يصح في فضل العقل شيء». اهـ.

٧٠١- «لو تمت البقرة ثلاثمائة آية لتكلمت البقرة مع الناس».

الحديث لا يصح، أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٨٢٩/٤٥٥/٤) من حديث يعقوب بن الوليد عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة مرفوعًا، وأخرج هذا الحديث الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٤٢/١)، ثم قال: «هذا حديث موضوع لا عفا الله عمن وضعه؛ لأنه قصد عيب الإسلام بهذا قال أحمد بن حنبل: كان يعقوب من الكذابين على الثقات لا يحل كتابة حديثه إلا على التعجب». اهـ.

ولقد بينا آنفًا أنه من الكذابين الكبار يضع الحديث.

الاستنتاج: نستنتج بما بيناه آنفًا أن هذا الحديث موضوع، قال الحافظ السيوطي في «تدريب الراوي» (٢٧٤/١) النوع (٢١): «الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم». وبين رتبته، فقال: «هو شر الضعيف»، وبيَّن حكمه فقال: «تحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص، والترغيب وغيرها؛ إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

٧٠٢- «تحروا الصدقَ وإنْ رأيتم أنَّ فيه الهلكة، فإن فيه النجاة».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (ح٤٤٦) قال: حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا مروان بن معاوية عن مجمع بن يحيى الأنصاري، عن منصور بن المعتمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.. الحديث.

ولقد بيَّن الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٦٣٨٠/٤٤٩/١٧) أنَّ منصور بن المعتمر روى عنه مجمع بن يحيى الأنصاري، ومُجمع روى عنه مروان بن معاوية الفزاري.

وبيَّن أيضًا من «تهذيب الكمال» (٦٧٩٥/٣٩٩/١٨) أن منصور بن المعتمر روى عن أكثر من خمسين تابعيًّا، ومن هذا الاستقراء يتبين أن منصور بن المعتمر إنما يروي عن التابعين، فإذا رفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم فالساقط على الأقل تابعي وصحابي، ونوع هذا السقط بينه الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٤٢) قال: «السقط من الإسناد إن كان باثنين فصاعدًا مع التوالي فهو المعضل».

وحكم الحديث المعضل أنه حديث ضعيف مردود للسقط في الإسناد، وهو أسوأ حالاً من المرسل والمنقطع لكثرة المحذوفين من الإسناد، وهذا الحكم على المعضل بالاتفاق بين العلماء.

فائدة: قال الحافظ السيوطي في «تدريب الراوي» (٢١٤/١): «من مظان المعضل مؤلفات ابن أبي الدنيا»، ولذلك أخرج ابن أبي الدنيا هذا الحديث بنفس السند مرة أخرى في كتابه «مكارم الأخلاق» (ح١٣٧).

٧٠٣- «ما أبالي ما رَددتُ به عنيَ الجوعَ».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن أبي الدنيا في «الجوع» (ح١٨٣) قال: حدثنا أحمد بن جميل المروزي، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، قال: أخبرنا الأوزاعي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم... فذكره. والحديث مردود بالسقط في الإسناد، وبرهان ذلك:

«بما أن الأوزاعي وهو عبد الرحمن بن عمرو من الطبقة السابعة» ذكره الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٤٩٣/١)، «وبما أن الطبقة السابعة: هي طبقة كبار أتباع التابعين» كما هو مبين في «الطبقات» كما في مقدمة «التقريب» للحافظ ابن حجر، إذن الساقط طبقتان: طبقة التابعين، وطبقة الصحابة ليصل الإسناد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فالساقط اثنان أو أكثر؛ لأن طبقة كطبقة التابعين الساقطة ممكن أن يروي فيها ثلاثة عن بعضهم البعض كما حدث في أول حديث عند البخاري في صحيحه حديث «الأعمال»، حيث قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٦/١): «في الإسناد ثلاثة من التابعين في نسق». اهـ.

إذن الحديث معضل كما بينا آنفًا.

الحلقة الخامسة عشرة

باب الطهارة

أحكام الاستحاضة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد بدأنا في الحلقة السابقة في دم الاستحاضة، وذكرنا تعريفها، وصفة دم الاستحاضة، والفرق بين دم الاستحاضة ودم الحيض، وذكرنا بعض الأحكام المتعلقة بالاستحاضة، من جواز وطء المستحاضة، وغسل المستحاضة، وهل على المستحاضة وضوء عند كل صلاة؟ ونستكمل ما بدأناه في الحلقة السابقة، سائلين الله جل وعلا أن يجعلها في ميزان حسناتنا إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

أحوال المستحاضة:

للمستحاضة أحوال ثلاثة، إما أن تكون مبتدأة أو معتادة أو متحيِّرة، ولكل حالة من هذه الحالات حكمٌ مستقلّ.

أولًا: المستحاضة المبتدأة:

المبتدأة: هي التي ابتدأ بها الحيض، وصاحبه دم الاستحاضة. (منح الجليل: ١/ ١٦٧).

اختلف الفقهاء في المستحاضة المبتدأة على

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

النحو التالي:

القول الأول: ذهب الحنفية إلى أن المبتدأة يُقدّر حيضها بعشرة أيام وما زاد فهو استحاضة، فتمكث عشرة أيام حيض وعشرين يومًا استحاضة، لأن أكثر مدة الحيض عندهم عشرة أيام. (المبسوط للسرخسي: ٣/ ١٥٣).

القول الثاني: ذهب المالكية إلى أن المبتدأة تترك الصلاة والصوم مقدار حيض أقرانها من النساء ثم تستظهر بثلاثة أيام. (الكافي في فقه أهل المدينة: ١/ ١٨٧).

وقيل خمسة عشر يومًا بناء على أن أكثر الحيض عندهم خمسة عشر يومًا.

وقيل تستظهر بثلاثة أيام ثم هي بعد ذلك مستحاضة تصوم وتصلي ويأتيها زوجها. (أسهل المدارك: ١/ ١٤٠).

القول الثالث: ذهب الشافعية إلى أن المبتدأة إما أن تكون مميّزة أو غير مميّزة؛ فإن كانت غير

مميزة والدم على صفة واحدة ففيها قولان:
أحدهما: تحيض أقل الحيض؛ لأنه يقين وما زاد فهو مشكوك فيه، فلا يحكم بكونه حيضًا.
والثاني: تُرَدُّ إلى غالب عادة النساء، وهو ستة أيام أو سبعة أيام وهو الأصح.
واستدلوا بحديث حمنة بنت جحش قالت: " كنت أستحاض حيضة كثيرة شديدة، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستفتيه وأخبره، فوجدته في بيت أختي زينب بنت جحش فقلت: يا رسول الله، إني امرأة أستحاض حيضة كثيرة شديدة، فما ترى فيها قد منعتني الصلاة والصوم. فقال.... تحيضي ستة أيام أو سبعة أيام في علم الله، ثم اغتسلي". (أخرجه أبو داود ٢٨٧، والطبراني في المعجم الكبير ٥٥١، والدار قطني ٨٣٤، والحاكم في المستدرك ٦١٥).
وإن كانت مميَزة، فترى دمًا قويًا كالأسود وآخر ضعيفًا كالأحمر؛ فالقويّ دم حيض، والضعيف دم استحاضة، بشرط ألا ينقص الأسود عن أقل الحيض ولا يزيد على أكثره، ولا ينقص الأحمر عن أقل الطهر وهو خمسة عشر يومًا، فإن فقدت شرطًا من الشروط؛ فهي فاقدة للتمييز، وحكمها حكم المبتدأة غير المميزة. (الإقناع للشربيني: ١/٩٧).

واستدلوا بحديث فاطمة بنت أبي حبيش أنها كانت تستحاض، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كَانَ دَمُ الْحَيْضَةِ فَإِنَّهُ أَسْوَدُ يُعْرَفُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَأَمْسِكِي عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِذَا كَانَ الْآخَرُ فَتَوَضَّئِي وَصَلِّي فَإِنَّمَا هُوَ عِرْقٌ». (صحيح سنن أبي داود ٢٨٦، والنسائي ٣٦٣، والإرواء ٢٠٤).
القول الرابع: ذهب الحنابلة إلى أن المبتدأة إما أن تكون مميَزة أو غير مميَزة، فإن كانت دمها مميَّزًا بأن كان بعضه أسود ثخينًا وبعضه أحمر رقيقًا، واستطاعت تمييز كل واحد منهما عن الآخر، فحيضها زمن الأسود الثخين، إن صلح أن يكون حيضًا بأن لا ينقص عن أقل الحيض ولا يجاوز أكثره. (المغني: ١/٢٢٦).

واستدلوا بحديث فاطمة بنت أبي حبيش أنها كانت تستحاض، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كَانَ دَمُ الْحَيْضَةِ فَإِنَّهُ أَسْوَدُ يُعْرَفُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَأَمْسِكِي عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِذَا كَانَ الْآخَرُ فَتَوَضَّئِي وَصَلِّي فَإِنَّمَا هُوَ عِرْقٌ». (صحيح سنن أبي داود ٢٨٦، والنسائي ٣٦٣، والإرواء ٢٠٤).
فإن نقص عن أقل الحيض أو زاد عن أكثره فهو استحاضة. (المغني: ١/٢٢٦).
فإن كانت غير مميزة: وهي التي لم يكن لها تمييز، أو أن الدم لم يتميز بعضه عن بعض بأن كان كله أسود أو أحمر أو نحو ذلك، تمكث ستة أيام أو سبعة أيام؛ لأنه غالب عادة النساء. (المغني: ١/٢٤٠).
ولحديث حمنة بنت جحش قالت: " كنت أستحاض حيضة كثيرة شديدة، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستفتيه وأخبره، فوجدته في بيت أختي زينب بنت جحش فقلت: يا رسول الله، إني امرأة أستحاض حيضة كثيرة شديدة، فما ترى فيها قد منعتني الصلاة والصوم. فقال.... تحيضي ستة أيام أو سبعة أيام في علم الله، ثم اغتسلي". (تقدم تخريجه).

أقوال العلماء في المسألة:

جاء في المبسوط للسرخسي (٣/١٥٣،١٥٤): "فإن جاوز العشرة واستمر بها الدم فحيضها عشرة أيام من أول ما رأت الدم، وطهرها عشرون يومًا؛ لأن أمر الحيض مبني على الإمكان لتأيُّده بسبب ظاهر، وهو رؤية الدم وإلى العشرة الإمكان موجود فجعلناها حيضا، وإذا انقطع لتمام العشرة كان الكل حيضًا فبزيادة السيلان لا ينتقص الحيض، وإذا كانت العشرة حيضًا فبقية الشهر وذلك عشرون يومًا طهرها؛ لأن الشهر يشتمل على الحيض والطهر عادة.
وعن أبي يوسف-رحمه الله تعالى- أنها تأخذ بالاحتياط فتغتسل بعد ثلاثة أيام ثم تصوم وتصلي سبعة أيام بالشك، ولا يقربها زوجها حتى تغتسل بعد تمام العشرة، وتقضي صيام الأيام السبعة؛ لأن الاحتياط في باب العبادات واجب، ومن الجائز أن حيضها أقل الحيض فتحتاط لهذا، وهو ضعيف فإنا قد عرفناها حائضًا، ودليل بقائها حائضًا ظاهر، وهو سيلان

الدم فلا معنى لهذا الاحتياط".
جاء في أسهل المدارك (١٤٠/١): "وتعتبر المبتدأة بأترابها " وهي التي لم يتقدم لها حيض قبل ذلك، فإن تمادى بها الدم فالمشهور أنها تمكث خمسة عشر يومًا.. وفي المدونة: ما رأت المرأة من الدم أول بلوغها فهو حيض، فإن تمادى بها قعدت عن الصلاة خمسة عشر يومًا، ثم هي مستحاضة وتغتسل وتصوم وتصلي وتُوطأ. اهـ.
قال المصنف رحمه الله: " فإن تجاوزتهن فرواية ابن القاسم في المدونة تتمادى أكثره " أي تتمادى إلى تمام خمسة عشر يومًا، ثم هي مستحاضة تغتسل وتصلي وتصوم وتوطأ كما تقدم".
جاء في المجموع شرح المهذب (٣٩٦/٢): "إن عبر الدم الخمسة عشر فقد اختلط حيضها بالاستحاضة فلا يخلو إما أن تكون مبتدأة غير مميزة... فإن كانت مبتدأة غير مميزة وهي التي بدأ بها الدم وعبر الخمسة عشر والدم على صفة واحدة ففيها قولان: أحدهما تحيض أقل الحيض لأنه يقين وما زاد مشكوك فيه فلا يحكم بكونه حيضًا، والثاني ترد إلى غالب عادة النساء وهو ست أو سبع، وهو الأصح؛ لقوله صلى الله عليه وسلم لحمنة بنت جحش: "تحيضي في علم الله ستة أيام أو سبعة أيام كما تحيض النساء ويطهرن ميقات حيضهن وطهرهن"، ولأنه لو كان لها عادة رُدَّت إليها لأن حيضها في هذا الشهر كحيضها فيما تقدم، فإذا لم يكن لها عادة فالظاهر أن حيضها كحيض نسائها ولداتها فردت إليها، وإلى أي عادة تُرَدُّ؟ فيه وجهان: أحدهما: إلى غالب عادة النساء؛ لحديث حمنة، والثاني: إلى عادة نساء بلدها وقومها؛ لأنها أقرب إليهن، فإن استمر بها الدم في الشهر الثاني اغتسلت عند انقضاء اليوم والليلة في أحد القولين، وعند انقضاء الست والسبع في الآخر".
جاء في الإقناع للشربيني (٩٧/١): "وتسمَّى المجاوزة للخمسة عشر بالمستحاضة فينظر فيها فإن كانت مبتدأة وهي التي ابتدأها الدم مميزة بأن ترى في بعض الأيام دمًا قويًا، وفي بعضها دمًا ضعيفًا؛ فالضعيف من ذلك استحاضة، والقوي منه حيض، إن لم ينقص القوي عن أقل الحيض ولا جاوز أكثره، ولا نقص الضعيف عن أقل الطهر وهو خمسة عشر يومًا، وإن كانت مبتدأة غير مميزة بأن رأته بصفة واحدة، أو فقدت شرط تمييز من شروطه السابقة، فحيضها يوم وليلة، وطهرها تسع وعشرون بقية الشهر".
جاء في المغني (٢٤٠/١، ٢٢٦): "فمن أطبق بها الدم فكانت ممن تميز، فتعلم إقباله بأنه أسود ثخين منتن، وإدباره رقيق أحمر، تركت الصلاة في إقباله، فإذا أدبر، اغتسلت، وتوضأت لكل صلاة وصلت"، قوله: " طبق بها الدم ". يعني امتد وتجاوز أكثر الحيض، فهذه مستحاضة، قد اختلط حيضها باستحاضتها، فتحتاج إلى معرفة الحيض من الاستحاضة لترتب على كل واحد منهما حكمه..... فإن استمر بها الدم ولم يتميز، قعدت في كل شهر ستًا أو سبعًا؛ لأن الغالب من النساء هكذا يَحضن".

الراجح:

والـذي يظهر لي بعد عرض أقـوال الفقهاء وأدلتهم رُجحان ما ذهب إليه الشافعية، وهو أن المبتدأة إن كانت مميزة تستطيع أن تُميِّز لونَ دم الحيض وصفته وقَـدْره عن لـون دم الاستحاضة؛ فتعمل بالتمييز، فما كان على صفة دم الحيض فهو حيض، وما كان على صفة دم الاستحاضة فهو استحاضة؛ لحديث فاطمة بنت أبي حبيش.
وإن كانت غير مميَزة بأن كانت لا تستطيع تمييز لون دم الحيض عن لون دم الاستحاضة، فتبني على حال أغلب النساء، فإن كان الغالب من حال النساء من حولها أن تحيض مثلًا في الشهر ستة أيـام أو سبعة فتبني على ذلك بمعنى أنها تنتظر من ابتداء حيضها ستة أيام أو سبعة، وتعتبرها أيـام حيض يحرم عليها فيها ما يحرم على الحائض، ثم يُباح لها بعد ذلك ما يُباح للطاهر، وذلك بعد أن تغتسل، والله تعالى أعلم.

منبر الحرمين

ذكر الله قوة القلوب والأبدان

إعداد: الشيخ د: فيصل بن جميل غزاوي
خطيب المسجد الحرام

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)، (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء: ١)، (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعد: فإن المؤمن في سكناته وتحركاته، وحله وترحاله، وتصرفاته وجميع أحواله لا غنى له عن خالقه ومولاه؛ إذ هو عونه ومعتمده ومبتغاه، والعبد الرباني عابد متأله، ومخبت منكسر لله-جل في علاه-؛ لذا فكلما قويت صلة العبد بربه، وكان دائم الطاعة لله هُديَ طريقه وألهم رشده، وقويت عزيمته، وازداد قوةً إلى قوته، واشتد صلابةً في الدين، فهذا نبيُ الله هود-عليه السلام- يقول لقومه مُرشدًا: (وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ) (هود: ٥٢)، قوله: (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ) (هود: ٥٢)، فإنهم كانوا من أقوى الناس؛ ولهذا قالوا: (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) (فصلت: ١٥)، فوعدهم أنهم إن آمنوا زادهم قوةً إلى قوتهم.

ويستفاد من الآية: أن الاستغفار مع الإقلاع على الذنب سبب للخصب والنماء وكثرة الرزق وزيادة العزة والمنعة، قال ابن كثير-رحمه الله-: "ومن اتصف بهذه الصفة-أي الاستغفار- يسَّر الله عليه رزقَه، وسهَّل عليه أمرَه، وحفظ عليه شأنَه وقوتَه".

ولما سألت فاطمة-رضي الله عنها- النبي-صلى الله عليه وسلم- خادمًا وجَّهَها وزوجَها عَليًا بقوله: "ألا أدلكما على خير مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما، أو أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبرا أربعًا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم». (رواه البخاري، من حديث علي-رضي الله عنه-).

فأرشد النبيُ-صلى الله عليه وسلم- ابنتَه

فاطمةَ-رضي الله عنها- إلى أنَّ ذِكْر الله يقوِّي الأبدانَ، ويحصل لها بسبب هذا الذكر الذي علَّمَها قوةٌ؛ فتقدر على الخدمة أكثر مما يقدر الخادم، قال ابن حجر-رحمه الله-: "ويستفاد من قوله: "ألا أدلكما على خير مما سألتما" أن الذي يلازم ذكر الله يُعطى قوةً أعظمَ من القوة التي يعملها له الخادم، أو تسهل الأمورُ عليه بحيث يكون تعاطيه أموره أسهل من تعاطي الخادم لها.

معاشر المسلمين: لقد فطن أولياء الله وتيقَّنوا أن ذِكْرهم لله هو قوتهم، وأن حاجة أرواحهم للغذاء أحوج من حاجة أجسادهم، بل إن المادة التي تستمد منها أبدانهم قُواها هي زاد أرواحهم، فقلوبهم معلَّقة بالله، وألسنتهم تلهج بذكر الله دائما، جاء في (صحيح مسلم) من حديث جابر بن سمرة أن النبي-صلى الله عليه وسلم- كان إذا صلى الفجر جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس حسنة، قال أبو العباس القرطبي-رحمه الله-: "هذا الفعل منه-صلى الله عليه وسلم- يدل على استحباب لزوم موضع صلاة الصبح للذكر والدعاء إلى طلوع الشمس؛ لأن ذلك الوقت وقت لا يُصلى فيه، وهو بعد صلاة مشهودة، وأشغال اليوم بعد لم تأتِ، فيقع الذكر والدعاء على فراغ قلب، وحضور فَهْم، فيُرتجى فيه قبولُ الدعاء وسماع الأذكار".

وعن الوليد بن مسلم-رحمه الله- قال: "رأيتُ الأوزاعيَّ يَثبُتُ في مصلاه، يذكر الله حتى تطلع الشمس، ويخبرنا عن السلف أن ذلك كان هديهم، فإذا طلعت الشمس قام بعضهم إلى بعض، فأفاضوا في ذكر الله والتفقه في دينه".

وقال ابن القيم-رحمه الله-، عن شيخه ابن تيمية-رحمه الله-: "وحضرته مرة، صلى الفجر ثم جلس يذكر الله-تعالى- إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليَّ وقال: هذه غَدْوتي، ولم لو أتغدَّ الغداء سقطت قوتي".

ترى من اعتاد هذا العمل يبدأ يومه ذاكرا لله، منطرحا بين يدي مولاه؛ ذلة وخضوعا، ورغبة ورجاء، كيف يكون سائر يومه، وكيف يكون نشاطه وحاله، وقد علم أن الذِّكْر يُقَوِّي القلبَ والبدنَ، وما بالُكم إذا كان الذِّكْرُ مما يجمع فيه العبد بين الذكر القولي والذكر البدني؟ كصلاة الليل تجمع الذكرين، بل تجمع كثيرا من الأذكار؛ القرآن الكريم والأدعية وتعظيم الله، كل هذه الأمور-ولا شك- تزيد العبد قوةً بدنيةً وقوةً معنويةً، وقد كان هديه-صلى الله عليه وسلم- الحرص على قيام الليل؛ فعن أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها- أن نبي الله-صلى الله عليه وسلم- كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: "لِمَ تصنعُ هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تَقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا؟" (متفق عليه).

إن هذه العبادة تُغَذِّي الروحَ وتقوي النفس وتربي الإرادة؛ فلا عجب أن يصبر النبي-صلى الله عليه وسلم- على ما يواجهه من الشدائد والصعاب في سبيل الله، وما يلقاه من الفتن والأذى فيدافع كيد العَدُوِّ، قال تعالى: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ) (الحِجْر: ٩٧-٩٨)؛ أي: توكل على الله خالقك؛ فإنه كافيك وناصرك عليهم، فاشتغل بذكر الله وتحميده، وتسبيحه وعبادته التي هي الصلاة، ولهذا قال: (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ) (الحِجْر: ٩٨)، فكان رسول الله-صلى الله عليه وسلم- إذا حزبه أمرٌ صلَّى، والصلاة من أكبر العون على الثبات في الأمر، كما قال تعالى: (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) (العَنْكَبُوت: ٤٥).

ومن تسلية الله لنبيه-صلى الله عليه وسلم- أن ضرب له العبد الصالح والنبي المصطفي داود-عليه السلام- مثلًا في قوة العبادة فقال عز من قائل: (اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ) (ص: ١٧)، قال السعدي-رحمه الله-: "من الفوائد والحِكَم في قصة داود أن الله-تعالى- يَمدح ويُحب القوةَ في طاعته، قوة القلب والبدن؛ فإنه يحصل منها من آثار الطاعة وحسنها وكثرتها ما لا يحصل مع الوهم وعدم القوة، وإن العبد ينبغي له تعاطي أسبابها وعدم الركون

إلى الكسل والبطالة المُخلَّة بالقوى، المضعفة للنفس، ولم يقتصر صلى الله عليه وسلم على باب واحد من أبواب تقوية الصلة بربه، بل تنوعت وسائله في ذلك، ففي (صحيح البخاري) عن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: "نهى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- عن الوصال في الصوم، فقال له رجل من المسلمين: إنك تُواصل يا رسول الله؟ قال: وأيُّكم مثلي، إني أبيتُ يطعمني ربي ويسقيني"؛ أي: يشغلني بالتفكر في عظمته، والتملي بمشاهدته، والتغذي بمعارفه، وقرة العين بمحبته، والاستغراق في مناجاته، والإقبال عليه، عن الطعام والشراب.

قال ابن القيم- رحمه الله-: "قد يكون هذا الغذاء أعظمَ من غذاء الأجساد، ومن له أدنى ذوق وتجربة يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من الغذاء الجسماني، ولاسيما الفَرِح المسرور بمطلوبه، الذي قرَّت عينه بمحبوبه".

والذكر-عباد الله- عمدة العبادات وأيسرها على المؤمن؛ فلا غرو أن يُكثر العبدُ منه امتثالا لأمر الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤١)، قال ابن عطيه-رحمه الله-: "وجعل تعالى ذلك دون حد ولا تقدير؛ لسهولته على العبد، ولعظم الأجر فيه.

أيها المسلمون: إن للقلب غذاء يجب أن يتغذى به حتى يبقى قويًّا، وغذاءُ القلب هو الإيمان بالله-تعالى- والعمل الصالح، وعلى قدر ما يحقق العبدُ من ذلك يكون في قلبه من القوة والثبات على الحق.

إن الحياة الحقيقية هي حياة القلب، وحياة القلب لا تتم إلا بالعمل بما يُرضي الله-تعالى-؛ فقد صح عنه-صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "مَثَلُ الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مَثَلُ الحي والميت" (رواه البخاري).

إن القلب-متى ما اتصل بالله وأناب إليه- حصل له من الغذاء والنعيم ما لا يخطر بالبال، ومتى غفل العبد عن ربه وأعرض عن طاعته فإنه سيموت قلبه؛ ولذا فلا يجد المرء راحة قلبه، ولا صلاح باله، ولا انشراح صدره إلا في طاعة الله، فهذه العبادات والقُربات التي يقوم بها العبد من شأنها-بإذن الله- أن تحقق الاطمئنان، وتُورث الصبرَ والثباتَ، وتُزيل الهموم وتُذهب الاكتئاب، وتمنع الإحباطَ، وتُخَلِّص من الضيق الذي يشعر به العبدُ نتيجةَ مصائب الدنيا.

عباد الله: من أعظم ثمار الإيمان: الصلة بالله والافتقار إليه والإقدام عليه، والاستئناس به، وتحقيق العبودية له في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، وقوة الصلة بالله تجعل المؤمن طائعًا لله، عاملًا بأوامره، مستقيمًا على شرعه، ومَن كان كذلك فجزاؤه الحياة الطيبة التي وعدها الله المؤمنين، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (النَّحل: ٩٧).

إن التعلق بالله وحُسن الصلة به يربِّي في صاحبه العمل، ويجعله يحاسب نفسَه على الصغير والكبير، ويستشعر مراقبة الخالق قبل محاسبة الخلق، وصاحب الصلة بالله مُقبل على فعل الخير، ساعٍ إليه، حريص على ألا يفوته شيءٌ مما ينفعه، ويحزن ويتحسر على ما فاته من زاد إيمانيّ عظيم، كان يحصل وقت نشاطه وقوته.

أيها الإخوة: من حفظ جوارحه عن محارم الله، زاده الله قوةً إلى قوته، ومتَّعه بها، وهذا مطلبُ كلِّ مؤمن، فمن دعائه-صلى الله عليه وسلم-: "ومتِّعْنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارثَ منَّا" والتمتع بالسمع والبصر إبقاؤهما صحيحين إلى الموت، فيكون معنى هذا الدعاء: اجعلنا متمتعين ومنتفعين بأسماعنا وأبصارنا وسائر قُوانا من الحواسِّ الظاهرة والباطنة، وكل أعضائنا البدنية؛ بأن نستعملها في طاعة مدةَ حياتنا وحتى نموت.

ومَن حَفظَ الله في صباه وقوته حفظه الله في حال كِبَره وضَعف قوته، ومتَّعه بسمعه وبصره وحواسه وأعضائه وحوله وقوته وعقله.

اللهم آمنا في الأوطان والدُّور، وأصلح الأئمة وولاة الأمور، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك يا رب العالمين.

المال وسيلة أم غاية

إعداد/ عبده أحمد الأقرع

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبيَّ بعده؛ صلى الله عليه وآله وسلم، وبعدُ:

فقد جاءت الشريعةُ ببيان حقيقة المال، والحكمة من وجوده، وكيفية استخدامه، وبيَّنت منافعه وأضراره، وأنه وسيلةٌ وليس غاية، وأن من جعل جمعه غايته على حساب دينه خسر دنياه وأخراه، ولم يأته منه إلا ما كُتبَ له، وأن صاحب المال إذا كان عالمًا عاملًا فإنه ينتفع بماله ويستخدمه في الخير والبرِّ، بخلاف الجاهل فإنَّ المال قد يكون سببًا في هلاكه في الدنيا، وعذابه في الآخرة.

فالمال أصله من عند الله، ولقد أخبر الله صراحةَ أن المال هو ماله سبحانه يؤتيه من يشاء، فقال جلَّ شأنه: «وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ» (النور:٣٣)، وقال سبحانه: «وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ» (الحديد:٧)، وقال سبحانه: «وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم» (المنافقون:١٠)، وإذا كان المالُ مالَ الله وهو عارية في يد البشر الذين استخلفهم فيه فليس للبشر أن يتأخروا عن إنفاذ أمر الله في هذا المال، فإذا أمرهم أن يُؤتوا فئات من الناس شيئًا من هذا المال فعليهم أن يبادروا بذلك فما يُؤتونهم إلا من الله: «وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ» (النور:٣٣)، والمال وسيلة وليس غاية.

عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: كُنا نأتي النبي صلى الله عليه وسلم إذا أُنزل عليه، فيحدثنا، فقال لنا ذات يوم: «إن الله قال: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم واد، لأحب أن يكون إليه ثان، ولو كان له واديان، لأحَب أن يكون إليهما ثالثٌ، ولَا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ثم يتوب الله على من تاب». رواه أحمد في مسنده (٥/٢١٨)، وهو في الصحيحة رقم (١٦٣٩).

أي: إن الله سبحانه وتعالى أنزل المال وأوجدَه وجعله بين أيدي بني آدم، ليقيموا به شعائر الله، ويظهروا معالم الشرع من صلاة، وزكاة، وحج، وطلب للعلم، وغير ذلك من شعائر الدين، لا أن يجعلوا تحصيلَ المال غايتهم ثم يُنفقونه في غير طاعة الله، ولقد ذمَّ النبي صلى الله عليه وسلم من جعل المال غايته فقال صلى الله عليه وسلم: «تعس عبد الدينار، وعبدُ الدرهم، وعبدُ الخميصة، إن أُعطي رَضيَ، وإن لَمْ يُعْطَ سَخطَ، تَعسَ وانتكس وإذا شيكَ فلا انتقش». (متفق عليه).

والناظر في كتاب الله يجد أن الله تعالى ذكر المال وأتبَعه بذكر ما هو أخير منه، قال تعالى: «ٱلْمَالُ

وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا » (الكهف:٤٦)؛ فهذا إخبار عن الله تعالى أنَّ المال والبنين زينة الحياة الدنيا، أي: ليس وراء ذلك شيء. وأن الذي يبقى للإنسان وينفعه ويسعده الباقيات الصالحات، فثوابها يبقى، ويتضاعف على الآباء، ويؤمل أجرها وبرها ونفعها، فهذه التي ينبغي أن يتنافس بها المتنافسون، ويستبق إليها العاملون، ويجدُّ في تحصيلها المجتهدون، قال الله سبحانه: « زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ » (آل عمران:١٤)، ثم أخبر سبحانه بأن المتقين لله، القائمين بعبوديته، لهم خير من هذه اللذات الفانية المنتهية، فلهم أصناف الخيرات الدائمة، والنعيم المقيم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولهم رضوان الله أكبر من كل شيء، فالعاقل يزهد في الفاني ويجتهد ويستكثر من الباقي الدائم، وقد أخبرنا رب العزة سبحانه بأن المال فتنة، فقال سبحانه: « وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ » (الأنفال:٢٨)، وحذَّر سبحانه من التلاهي بالأموال والأولاد، فقال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ » (المنافقون:٩)، «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ» أي: يلهه ماله وولده، عن ذكر الله، «فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» للسعادة الأبدية، والنعيم المقيم؛ لأنهم آثروا ما يفنى على ما يبقى، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال». (صحيح الترغيب: ٣٢٥٣). والمعنى: إن لكل أمة من الأمم فتنة، تختص بها وتكونُ سببًا لضلالها، وأكثر سبب لضلال بعض هذه الأمة هو المال، فإن الحرص على المال يؤدي إلى تضييع حقِّ الله في العبادة، والانشغال عن الواجبات كالصلوات التي من أجل إقامتها أنزل الله المال، وكم من إنسان ضيَّع الصلاة من أجل المال، ويؤدي كذلك إلى عدم حضور مجالس العلم، وقد قال ابنُ مهدي رحمه الله: «الرَّجُلُ إلى العلم أحوجُ منه إلى الأكل والشرب». حلية الأولياء (٤/٩).

ويؤدي كذلك إلى ترك العناية بتربية الأولاد، وإصلاح الأهل متى لا يجد الرجل وقتًا لتعليم أولاده وتربيتهم التربية الصالحة، فيتركهم هملًا وعرضة للانحراف والضياع، وهو المسؤول عنهم أمام الله يوم القيامة، لذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ذئبان جائعان أرسلا إلى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه». (أخرجه أحمد ٣/٤٥٦).

هذا مَثَلٌ ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم لفسادَيْن يلحقان بالمسلم بسبب الحرص على المال والشَرف في الدنيا، ولكن أخي؛ لك أن تتخيل هذا المثل؛ كيف يصنع الذئبان الجائعان مع الغنم إذا تُركا في حظيرة الغنم، انظر إلى أثر الدمار الذي سيحل بالأغنام، فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شرِّ الحرص على المال والشرف في الدنيا، وكثرة المال في يدي العاصي لا تدل على الخير، قال الله تعالى: « أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ » (المؤمنون: ٥٥-٥٦)، أي: أيظلنون أن زيادتنا إياهم بالأموال والأولاد، دليلٌ على أنهم من أهل الخير والسعادة، وأنَّ لهم خيرَ الدنيا والآخرة، وهذا مقدمٌ لهم؟ كلا، ليس الأمرُ كذلك.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا رأيت الله يُعطي العبدَ في الدنيا على معاصيه ما يحبُّ، فإنما هو استدراج». ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: « فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ » (الأنعام:٤٤). (صححه الألباني في الصحيحة رقم: ٤١٣).

فنعمة الله إن لم تُقابَل بالشكر والاعتراف بأنها من عند الله، وتنفق في طاعة الله سبحانه، فلن تغني عن أصحابها شيئًا يوم الدِّين، يقول الله تعالى متوعدًا لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه بالمال والبنين فكفر بأنعم الله، وبدَّلها كفرًا، وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها: « ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا » (المدثر: ١١-١٣).

وما أمر قارون ببعيد، قال الله تعالى: «إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ » (القصص:٧٦)، وعظَه قومه أن استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة، في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات، التي يحصل لك

بها الثواب في الدار الآخرة، قال الله تعالى عن جواب قارون لقومه، حين نصحوه وأرشدوه إلى الخير «قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ» (القصص:٧٨) أي: أنا لا أفتقر إلى ما تقولون، فإن الله تعالى إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني استحقه، ولمحبته لي، وهكذا يقول من قل علمه إذا رأى من وسَّع الله عليه يقول: لولا أنه يستحق ذلك لما أعطي، «فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ» (القصص:٧٩).

فلما سمع مقالتهم أهلُ العلم النافع قالوا لهم: «وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ» (القصص:٨٠) أي: جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خيرٌ مما ترون.

ولما ذكر الله تعالى اختيال قارون بماله، وفخره على قومه وبغيه عليهم، عقب ذلك بأنه خسَف به وبداره الأرض، قال جل شأنه: «فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ» (القصص:٨١) أي: ما أغنى عنه ماله، ولا خدمه وحشمه، ولا دفعوا عنه نقمة الله وعذابه ونكاله، ولا كان هو في نفسه منتصرًا لنفسه، «وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ» (القصص:٨٢).

وتقرأ في القرآن قول الله تعالى عن صاحب الشمال: «مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ» (الحاقة: ٢٨- ٢٩) أي: لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وبأسه، بل خلص الأمر إلي وحدي فلا معين لي ولا مجير، فعندها يقول الله عز وجل: «خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ» (الحاقة: ٣٠- ٣٢)، وتقرأ قول الله تعالى: «ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ (٢) يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ» (الهمزة: ٢- ٣).

ألهاه ماله بالنهار، هذا إلى هذا، فإذا كان الليل نام كأنه جيفة، فمن كان حاله هكذا لم ينفعه ماله، قال الله تعالى: «وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ» (سبأ:٣٧)، ولكن من اتقى الله تعالى وأنفق ماله في مرضاة الله سبحانه فسينفعه؛ لذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعْمَ المالُ الصالح للمرء الصالح». أخرجه أحمد (٤/١٩٧، ٢٠٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا بأس بالغنى لمن اتقى، والصحةُ لمن اتقى خيرٌ من الغنى، وطيب النفس من النعيم». صحيح الجامع رقم (٧١٨٢)، والمال ينفع العالم ويضر الجاهل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما الدنيا لأربعة نفر؛ عبد رزقه الله مالًا وعلمًا فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقًا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالًا فهو صادق النيةِ يقول: لو أن لي مالًا لعملتُ بعمل فلان؛ فهو بنيته فأجرهما سواءٌ، وعبد رزقه الله مالًا ولم يرزقه علمًا، فهو يخبطُ في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربَّه، ولا يصل فيه رَحِمَه، ولا يعلمُ لله فيه حقًا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالًا ولا علمًا فهو يقول: لو أنَّ لي مالًا لعملتُ فيه بعمل فلان فهو بنيته، فوزرهما سواء». (صحيح الجامع رقم ٣٠٢٤).

قَسَّمَ النبي صلى الله عليه وسلم الناس أربعة أقسام؛ خيرهم: من أوتي علمًا ومالًا فهو محسنٌ إلى الناس وإلى نفسه بعلمه وماله، ويليه في المرتبة: من أوتي علمًا ولم يُؤتَ مالًا، وإن كان أجْرهما سواء فذلك إنما كان بالنية، وإلا فالمنفق المتصدق فوقه بدرجة الإنفاق والصدقة، الثالث: من أوتي مالًا ولم يُؤت علمًا فهو أسوأ الناس منزلة عند الله؛ لأن ماله طريقٌ إلى هلاكه، فلو عدمه لكان خيرًا له، الرابع: من لم يُؤتَ مالًا ولا علمًا، ومن نيته أنه لو كان من له مالٌ لعمل فيه بمعصية الله، فهذا يلي الغنيَّ الجاهل في المرتبة، ويساويه في الورد بنيته، فقَسَّم صلى الله عليه وسلم السُعَداء قسمين، وجَعَل العلم والعمل بموجب سبب سعادتهما، وقسم الأشقياء قسمين وجعل الجهل وما يترتب عليه سبب شقاوتهما، فعادة السعادة بجملتها إلى العلم وموجبه، والشقاوة بجملتها إلى الجهل وثمرته.

اللهم إنا نسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملًا متقبلًا.

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وأغننا بفضلك عمن سواك.

التوحيد أصل الدين وأساس الملة

الحلقة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فعن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ، رضِي اللَّه عنه، قال كُنتُ رِدْفَ النبيِّ صلَى اللَّه عَلَيْه وسَلَّم على حمار فقال: «يَا مُعَاذُ هَل تَدري مَا حَقُّ اللَّه عَلى عبَاده، ومَا حَقُّ العباد عَلى اللَّه؟ قلت: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: «فَإنَّ حَقَّ اللَّه عَلَى العِبَادِ أَن يَعْبُدُوه، وَلا يُشْرِكُوا بِـه شَيْئًا، وَحقَّ العباد عَلى اللَّه أَنْ لا يعذب مَنْ لا يُشرِكُ بِه شَيْئًا، فقلت: يا رسولُ اللَّه أَفَلا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قال: «لا تُبَشِّرْهُم فَيَتَّكِلُوا» متفقٌ عليه (٢٧٦).

وهذا الحديث فيه من الفوائد الجليلة عظيمة النفع والفائدة ذكرنا جملة منها في العدد الماضي وفي هذا المقال نبين تتمة هذه الفوائد فنقول وبالله التوفيق

إعداد: معاوية هيكل

من فوائد الحديث:

فضائل التوحيد وثمراته وبركاته

- التوحيد الخالص يثمر الأمن التام في الدنيا والآخرة، قال الله عز وجل: «الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ» (الأنعام: ٨٢).

- التوحيد هو السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة، ويدفع الله به العقوبات في الدارين، ويبسط به النعم، وتعم به البركات.

- يحصل لصاحبه الهدى الكامل، والتوفيق لكل أجر وغنيمة.

- يغفر الله بالتوحيد الذنوب ويكفر به السيئات، ففي الحديث القدسي عن أنس رضي الله عنه يرفعه: "يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة" (رواه الترمذي ٣٤٥٠، وصححه الألباني).

- التوحيد هو السبب الأعظم لدخول الجنة، فعن عبادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل" (البخاري ٣٤٣٥، ومسلم ٣٣)، وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة" (البخاري ٣٤٣٥، ومسلم ٢٨).

- التوحيد يمنع دخول النار بالكلية إذا كمل في القلب، ففي حديث عتبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "... فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله" (البخاري ٤٢٥ ومسلم ٣٣).

- يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنى حبة من خردل من إيمان يدلك على ذلك ما رواه البخاري ومسلم

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "..... أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان".

- التوحيد هو السبب الأعظم في نيل رضا الله وثوابه، وأسعد الناس بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم: "من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه" (البخاري ٩٩).

- جميع الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها، وفي ترتيب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت.

فالتوحيد شرط لقبول الأعمال: « فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » (الكهف: ١١٠).

وكل عمل لا يقوم على التوحيد فلا وزن له ولا قيمة: « مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ » (إبراهيم: ١٨).

- يُسَهِّل على العبد فعل الخيرات، وترك المنكرات، ويسليه عن المصائب، فالموحد المخلص لله في توحيده تخف عليه الطاعات؛ لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهوّن عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي؛ لما يخشى من سخط الله وعقابه.

- التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه، وكرّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين.

- التوحيد يخفف عن العبد المكاره، ويهوّن عليه الآلام، فبحسب كمال التوحيد في قلب العبد يتلقى المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة، وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة، وهو من أعظم أسباب انشراح الصدر.

- التوحيد يحرّر العبد من رقّ المخلوقين والتعلق بهم، وخوفهم ورجائهم، والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي، والشرف العالي، ويكون مع ذلك متعبدًا لله لا يرجو سواه، ولا يخشى إلا إيّاه، وبذلك يتمُّ فلاحه، ويتحقق نجاحه.

-التوحيد إذا كمل في القلب، وتحقّق تحققًا كاملًا بالإخلاص التام؛ فإنه يصير القليل من عمل العبد كثيرًا، وتضاعف أعماله وأقواله الطيبة بغير حصر، ولا حساب، ورجحت كلمة الإخلاص في ميزان العبد بحيث لا تقابلها السموات والأرض وعمارها من جميع خلق الله كما في حديث البطاقة التي فيها لا إله إلا الله التي وزنت تسعة وتسعون سجلًا من الذنوب، كل سجل مد البصر. وذلك لكمال إخلاص صاحبها. وكم ممن يقولها لا تبلغ هذا المبلغ؛ لأنه لم يكن في قلبه من التوحيد والإخلاص الكامل مثل ولا قريب مما قام بقلب هذا العبد.

- تكفّل الله لأهل التوحيد بالفتح، والنصر في الدنيا، والعز والشرف، وحصول الهداية، والتيسير لليسرى، وإصلاح الأحوال، والتسديد في الأقوال والأفعال.

- ومن فضائله أن الله عز وجل يدافع عن الموحدين أهل الإيمان ويدفع عنهم شرور الدنيا والآخرة، ويمنُّ عليهم بالحياة الطيبة، والطمأنينة إليه، والأنس بذكره.

قال العلامة السعدي رحمه الله: (وشواهد هذه الجمل من الكتاب والسنة كثيرة معروفة، والله أعلم) (القول السديد للشيخ السعدي ص ٢٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وليس للقلوب سرور ولذة تامة إلا في محبة الله تعالى، والتقرب إليه بما يحبه، ولا تتم محبة الله إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إله إلا الله) (مجموع الفتاوى ٢٨/٣٢).

حقيقة التوحيد والرد على المرجئة

فقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تُبشرهم فيتّكلوا"؛ يعني: لا يتّكلوا على مجرد التوحيد ويقعوا في المعاصي، وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم على هذا المعنى في أحاديث أخرى، وحذر أمته من الاتكال وأكد أنه لابدّ مع التوحيد من حقّ الإسلام،

فقال صلى الله عليه وسلم: "أمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إلهَ إلا الله وأن محمدًا رسولُ الله، ويقيموا الصلاةَ، ويؤتوا الزكاةَ، فإذا فعلوا ذلك عَصَموا مني دماءَهم وأموالَهم إلا بحق الإسلام، وحسابُهم على الله. (صحيح البخاري: ٢٥).

فالطاعات كلها من حقِّ الإسلام، وكذلك ترك المعاصي، ولهذا لما ارتدَّ مَن ارتدَّ من العرب وامتنعوا عن أداء الزكاة في عهد الصديق رضي الله عنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قاتلهم الصديقُ وقال: "إنَّ الزكاة من حقِّ الله"، الزكاة من حقِّ لا إله إلا الله، "والله لو منعوني عناقًا -وفي لفظ: عقالًا- كانوا يُؤدُّونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتُهم على منعه"، فقاتلهم حتى خضعوا للحقِّ، ودخلوا في دين الله، وأدّوا الزكاة، وامتثلوا أمر الله.

خطورة الفكر الإرجائي على الأمة وتحذير السلف منهم

أولا: الإرجاء في الاصطلاح تأخير العمل وإخراجه عن حقيقة الإيمان، قال ابن كثير في بيان سبب تسمية المرجئة بهذا الاسم: "قيل مرجئة لأنهم قدموا القول وأرجؤوا العمل- أي أخروه" وهم أقسام وفرق متعددة مختلفة في تحديد معنى الإيمان عدّها الأشعري في المقالات اثنى عشر فرقة، فمنهم مَن يرى أن الإيمان قولٌ فقط: كالكرامية، ومنهم مَن يرى أنه مجرد معرفة: كالجهمية، ومنهم مَن يرى أنه قولٌ وتصديقٌ: كمُرجئة الفقهاء -كما ذكر الطّحاوي في العقيدة- وكلها خطأ، وغلط.

والصواب الذي عليه أهلُ السنة والجماعة أنَّ الإيمان قولٌ وعملٌ: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، هذا قول أهل السنة، وهو الذي دلَّ عليه كتابُ الله وسنةُ رسوله عليه الصلاة والسلام، كما قال جلَّ وعلا في كتابه المبين: «لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» (البقرة: ١٧٧)، فجعل هذا كله صدق، وإيمان، وتقوى، والآيات في هذا كثيرة.

ومنها قول النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس: "آمركم بالإيمان بالله، ثم فسَّر ذلك بشهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأداء الخمس، وقال عليه الصلاة والسلام: الإيمان بضعٌ وستون شعبة- أو قال: بضعٌ وسبعون شعبة- فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبةٌ من الإيمان، فجعل قول "لا إله إلا الله"- وهي قولٌ- جعلها أفضل الإيمان، وأفضَل الشعَب، وجعل الحياء من شعب الإيمان، وجعل إماطة الأذى من الطريق من شعب الإيمان، وهكذا الصلاة والصوم والجهاد وغير ذلك، كله من شعب الإيمان؛ فهو قولٌ وعملٌ قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي.

المرجئة خطرهم على الأمة عظيم

فدعواهم مدعاة لترك العمل والتكاسل عن الطاعات، فما ضَرَّ أحدَهُم- وفق مذهب المرجئة- لو ترك الفرائض ما دام إيمانه محفوظا ودينه موفورا، وهو مع ذلك بمنزلة جبريل وميكائيل، إن هذا المنطق يورث في أفراد الأمة اتكالًا وتفريطًا وتقصيرًا في الطاعات؛ اتكالًا على سلامة الإيمان وصحته، وقد كان الصحابة والهداة من السلف على خلاف ذلك، فقد كانوا يربطون ربطا مباشرا بين عمل الجوارح وإيمان القلب فهذا التابعي الجليل ابن أبي مليكة رحمه الله يذكر أنه أدرك ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: "كلهم كان يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبرائيل وميكائيل" رواه البخاري، وهذا ابن مسعود ينقل رأي الصحابة في ارتباط العمل بالإيمان فيقول: "ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها

"أي الصلاة" إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف" (رواه مسلم)، فانظر كيف ربط رضي الله عنه النفاق بترك العشاء.

وقال إبراهيم التيمي: " ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن يكون مُكَذّبًا " ذكره البخاري.

حقيقة الايمان عند السلف

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في: "الفتاوى: ٧/٢٠٩": "قال الشافعي رحمه الله تعالى: وكان الإجماع من الصحابة والتابعين بعدهم، ومن أدركناهم، يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، ولا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر". انتهى.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: "لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحدًا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص". أخرجه اللالكائي في "أصول الاعتقاد" بسند صحيح.

قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في (درء الفتنة عن أهل السنة/ الفصل الثالث): "ولجلالة هذه المسألة وأهميتها افتتح الإمام مسلم- رحمه الله تعالى- صحيحه: بـ "كتاب الإيمان" وساقه الإمام البخاري- رحمه الله تعالى- في "الكتاب الثاني" من: "صحيحه" بعد: " كتاب بدء الوحي " وفي هذا تأكيد على أن حقيقة الإيمان هذه مبناها على الوحي وأكثر أبوابه التي عقدها - رحمه الله تعالى - للرد على المرجئة وغيرهم من المخالفين في حقيقة الإيمان، وبعضها للرد على المرجئة خاصة كما في الباب ٣٦/ منه (انظر الفتاوى ٧/٣٥١).

ولأهميته - أيضًا- أفرده الأئمة بالتأليف منهم: أبو عبيد، وأحمد بن حنبل، وابن أبي شيبة، والطحاوي، وابن منده، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وغيرهم- رحم الله الجميع-.

وعلى هذه الحقيقة للإيمان بني المروزي- رحمه الله تعالى- كتابه: " تعظيم قدر الصلاة " والصلاة هي أعظم الأعمال وأعمها وأولها وأجلها بعد التوحيد، وهي شعار المسلمين، ولهذا يعبر عنهم بها، فيقال: اختلف أهل الصلاة، واختلف أهل القبلة.

ولعظم شأنها عنون أبو الحسن الأشعري - رحمه الله تعالى- كتابه في الاعتقاد باسم " مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين " أي أن غير المصلي لا يُعَدُّ في خلاف ولا إجماع.

والمخالفة في تلك الحقيقة الشرعية للإيمان: ابتداع، وضلال، وإعراض عن دلالة نصوص الوحي، وخرق للإجماع.

وإياك ثم إياك- أيها المسلم- أن تغتر بما فاه به بعض الناس من التهوين بواحد من هذه أسس الإيمان لاسيما ما تلقفوه عن الجهمية وغلاة المرجئة من أن " العمل " كمالي في حقيقة الإيمان ليس ركنًا فيه وهذا إعراض عن المحكم من كتاب الله- تعالى- في نحو ستين موضعًا، مثل قول الله- تعالى-: «ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون» (الأعراف: ٤٣)، ونحوها في السنة كثير، وخرق لإجماع الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

وإياك يا عبدالله من الجنوح إلى الغلو فتهبط- وأنت لا تشعر- في مزالق الخوارج الذين تَبنَّى- في المقابل- مذهبهم بعض نابتة عصرنا.

بل إياك ثم إياك أن تجعل أيًا من مسائل العقيدة الإسلامية " عقيدة أهل السنة والجماعة " مجالًا للقبول والرد، والحذف والتصحيح، بما يشغب به ذو هوى، أو ينتحله ذو غرض فهي- بحمد الله- حق مجمع عليه فاحذرهم أن يفتنوك" انتهى.

ثبتنا الله وإياكم على التوحيد والسنة، وعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.. آمين.

واحة

من نور كتاب الله

النقاب من الإسلام

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٩).

الصحابيات كن منتقبات

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: (كنا نغطي وجوهنا من الرجال وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام). أخرجه الحاكم.

من فضائل الصحابة

عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة.

رواه الترمذي.

من أقوال السلف

قالت الحكماء: علّم علمك من يجهل، وتعلّم ممن يعلم، فإذا فعلت ذلك حفظت ما علمت؛ وعلمت ما جهلت.

العقد الفريد.

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن أنس رضي الله عنه قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. فقلت: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء. رواه الترمذي.

التوحيد

إعداد: علاء خضر

من دلائل النبوة

افتتان المسلمين بالغرب وتقليدهم في كل شيء

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم. قيل يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن. متفق عليه.

من حكمة الشعر

قيل فيمن يعامل الناس كلهم بالمعروف:

ازرعْ جميلاً ولو في غيرِ موضعِه
فلا يضيعُ جميلٌ أينما زُرعا
إن الجميلَ وإن طال الزمانُ به
فليس يحصدُه إلا الذي زرَعَ

من فقه التعامل مع الحكام

قال رجل للرشيد: يا أمير المؤمنين، إني أريد أن أعظك بعظة فيها بعض الغلظة فاحتملها، قال: كلا، إنّ الله أمر من هو خير منك بإلانة القول لمن هو شر مني: قال لنبيه موسى إذ أرسله إلى فرعون (فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى).

العقد الفريد

حكم ومواعظ

قال الحسن: عجبا لمن خاف العقاب ولم يكفَّ، ولمن رجا الثواب ولم يعمل

العقد الفريد.

حكم الاحتفال بالمولد النبوي

قال الإمام أبو الوليد سليمان الباجي شارح كتاب الموطأ، والمتوفى سنة ٤٩٤ هـ، وقد سُئل عن بدعة المولد فقال رحمه الله: لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون، وشهوة نفس اعتنى بها الأكلون.

دراسات شرعية

الحلقة (١٠٧)

أثر السياق في فهم النص

حجاب المرأة المسلمة (١٧)

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ما زال الحديث موصولاً -بفضل الله تعالى- حول أدلة الحجاب من القرآن والسنة، تكلمنا عن آيات الحجاب ثم انتقلنا إلى الأحاديث، ووصلنا إلى الحديث الثالث عشر في البحث -وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي فيه: "فقامت امرأة من سطة النساء سفعاء الخدين، فقالت: لمَ يا رسول الله... (الحديث)؛ فاستدل بالحديث القائلون بجواز كشف الوجه والكفين، وإلا كيف وُصفَت المرأة بأنها سفعاء الخدين.

وأجاب الذين قالوا بعدم جواز كشف الوجه والكفين بردود منها:

١- احتمال أن تكون هذه المرأة من القواعد من النساء اللاتي يجوز لهن كشف الوجه.

٢- احتمال أن تكون هذه القصة (الحديث) قبل نزول آيات الحجاب.

٣- احتمال أن يكون انحسر جلبابها أو نقابها عن وجهها بفعل الهواء.

٤- تفرُّد جابر رضي الله عنه -ممن روى الحديث- بوصف وجه المرأة.

٥- صغر سن ابن عباس وبلال كان عبدًا، وبالتالي لا حرج عليهما في رؤية وجه المرأة؛ لأنهما كانا مع النبي صلّى الله عليه وسلّم.

٦- لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى هذه المرأة وهي كاشفة عن وجهها وأقرها على ذلك.

قلت:

١- أما الاحتمال الأول: فقد أجبت عنه في العدد السابق، ونقلت كلام الحافظ ابن حجر في احتمال أن تكون هي أسماء بنت عميس رضي الله عنها، وهي ليست من القواعد. قلت: وإن لم تكن هي أسماء بنت عميس، فيبقى الحديث على الاحتمال، هل هي من القواعد أم من غيرهن؟

٢- الاحتمال الثاني: أن الحديث كان قبل نزول آيات الحجاب، وهذا يحتاج إلى معرفة تاريخ القصة، ومتى كانت موعظة النبي صلى الله عليه وسلم للنساء، وفي أي عيد فطر كانت هذه الموعظة؟ ورأينا ردَّ الشيخ الألباني على هذا الاحتمال مستدلاً بحديث أم عطية رضي الله عنها لما أمر

النبي صلى الله عليه وسلم النساء بالخروج إلى صلاة العيد، وقد سألت: إحدانا لا يكون لها جلباب فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لتُلبسها أختها من جلبابها". فاستدل الشيخ من الحديث على أن المرأة كانت تخرج إلى صلاة العيد في جلبابها، وبالتالي فهذا الحديث كان بعد نزول آيات الحجاب، ثم ذكر حديث مبايعة عمر رضي الله عنه للنساء - لما أمره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك - وأنه بايعهن من وراء الباب، وفي الحديث أنه أمرهن بالخروج إلى صلاة العيد وأن المبايعة كانت بعد صلح الحديبية الذي وقع في سنة ٦ من الهجرة، أي بعد نزول آيات الحجاب التي نزلت سنة ثلاثة وقيل خمسة من الهجرة.

قلت: لكن ما قاله الشيخ الألباني -يرحمه الله - قد يرد عليه: أن الاستدلال بخروج المرأة إلى صلاة العيد بالجلباب، وبالتالي فإن ذلك كان بعد نزول آيات الحجاب «يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورًا رحيمًا» (الأحزاب: ٥٩) يحتاج إلى معرفة هل كانت المرأة لا تخرج بالجلباب قبل نزول هذه الآية؟ أم أن الجلباب كان معروفًا لدى النساء عند خروجهن، وجاءت الآية تأمرهن بإدناء الجلابيب إذا خرجن؟

لا شك أن الجلباب كان معروفًا قبل الإسلام؛ فقد قالت جنوب أخت عمرو ذي الكلب ترثيه:

تمشى النسور إليه وهي لاهيه

مشى العذارى عليهن الجلابيب

وجنوب شاعرة من شاعرات الجاهلية، وقد ذكرت الجلابيب في قصيدتها عندما رثت أخاها عمرو بمرثية أولها:

كل امرئ بمحال الدهر مكذوب

وكل من غالب الأيام مغلوب

(انظر لسان العرب ١/٢٧٢، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام صـ ٩٩).

وجاء الإسلام ليؤكد على خروج المرأة بجلبابها، وأمرها أن تُدنيه عليها إذا خرجت، فلا تُظهر شيئًا من محاسنها، وكذلك لتتميز المرأة الحرة العفيفة بزيها.

والحديث الثاني الذي استدل به الشيخ الألباني على أنَّ الأمر للنساء بالخروج إلى العيد كان في قصة مبايعة عمر رضي الله عنه للنساء - وذلك بعد نزول آيات الحجاب - وبالتالي فإن الأمر للنساء بالخروج لصلاة العيد كان بعد نزول آيات الحجاب، وهذا يُرَدُّ عليه بأن الأمر هنا للمبايعات وهن اللواتي هاجرن بعد صلح الحديبية -أي بعد نزول آيات الحجاب- لكن ذلك لا يستدعي أن يكون الأمر لهن بالخروج لصلاة العيد هو بداية الأمر لعموم النساء بالخروج لصلاة العيد، بل غاية ما فيه أن أمر للمبايعات -المسلمات المهاجرات - من مجموعة أوامر ونواه أخذت عليهن عند المبايعة، كالنهي عن الشرك والزنا والنياحة... إلى غير ذلك.

٣- الاحتمال الثالث: أن يكون انحسر جلبابها عن وجهها بفعل الهواء، وهذا يبقى مجرد احتمال لا دليل عليه، وعادة المرأة المنتقبة إذا انحسر نقابها عن وجهها أن تسارع بإعادته على وجهها، فلا يتمكن الناظر من النظر المتأمل الذي يصف فيها تغييرًا في خديها عن باقي وجهها.

٤- الاحتمال الرابع: تفرُّد جابر رضي الله عنه - ممن رووا الحديث - بوصف وجه المرأة قلت: نعم تفرد جابر رضي الله عنه بوصف وجه المرأة في قصة صلاة العيد، وليس في ذلك إشكال فهو وصف ما رآه، لكن رؤية وجه المرأة ووصفه كما وصفه جابر رضي الله عنه، ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وإن كان في قصة أخرى، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ألا عسى أحدكم أن يخلو بأهله ثم يغلق بابًا ثم يرخي سترًا، ثم يقضي حاجته، ثم إذا خرج حدَّث أصحابه ذلك، ألا عسى إحداكن أن تغلق بابها وترخي سترها فإذا قضت حاجتها حدَّثت صواحبها. فقالت امرأة سفعاء الخدين...

الحديث (رواه البزار وقال الألباني: حسن لغيره، انظر صحيح الترغيب ٢/٤٥٣ - ٤٥٤).

وورد في رواية لهذه القصة أن النساء كنَّ قعودًا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني لم يكن في الخلاء لصلاة العيد، فالاحتمال أن الهواء حسر الجلباب عن وجهها - كما قيل في صلاة العيد - يكون بعيدًا، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن أبا سعيد رضي الله عنه يصف وجه المتحدثة من النساء كما وصفه جابر رضي الله عنه. فلو كان يحرم على المرأة أن تظهر وجهها - بفرض انحسار الجلباب بفعل الهواء كما قيل في صلاة العيد، فهل يليق بجابر ولأبي سعيد رضي الله عنهما أن يصفا وجه امرأة في حديث عام يحدثان به يصف وجه امرأة مسلمة، وإن كانت لم تُسَمَّ في الرواية، لكن هناك من العلماء مَن عيَّنها وقال ربما تكون أسماء بنت يزيد -كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر وذكرت ذلك بالمقالة السابقة-.

٥- الاحتمال الخامس: صغَر سنّ ابن عباس، وبلال كان عبدًا، فهذا يرد عليه بأن ابن عباس كان مميزًا، وبلال أعتقه أبو بكر رضي الله عنه عندما اشتراه فكان حرًا رضي الله عنه، وهذا الاحتمال معناه أنه لا حرج عليهما في رؤية النساء كاشفات الوجوه عندما ذهبن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لمصلى النساء في العيد، وهذا يعني أن النساء كنَّ كاشفات الوجوه عندما ذهب إليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلال وابن عباس وإلا فما دلالة القول بصغر سن ابن عباس وعبودية بلال؟

٦- الاحتمال السادس: أنه لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى هذه المرأة سفعاء الخدين كاشفة عن وجهها وسكت فيكون ذلك إقرارًا منه لفعلها، وبالتالي فلا حُجَّة فيه لمن قال بجواز كشف الوجه. وهذا أيضا - يبقى مجرد احتمال: هل رآها النبي صلى الله عليه وسلم أو لم يرها؟ مع أنَّ الأقرب للاحتمالين هو رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لها، فكيف وهي توجِه الكلام له، ولا شك أنَّ مَن يوجه إليه الكلام ينظر إلى مَن يكلمه، فيستبعد رؤية جابر رضي الله عنه للمتحدثة ولا يراها النبي صلى الله عليه وسلم وهي توجه الكلام له. والله أعلم.

الحديث الرابع عشر:

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن الفضل بن عباس رضي الله عنهما قال: "إن امرأة من خثعم استفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع (يوم النحر)، والفضل بن عباس رضي الله عنهما رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان الفضل رجلاً وضيئًا، فأخذ الفضل بن عباس يلتفت إليها، وكانت امرأة حسناء وفي رواية وضيئة، وفي رواية فطفق الفضل ينظر إليها وأعجبه حسنها (وتنظر إليه)، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: إن فريضة الله أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: نعم، وذلك في حجة الوداع؟ وفي رواية، فقال له العباس رضي الله عنه: يا رسول الله، لمَ لويتَ عُنُق ابن عمك؟ قال: رأيت شابًا وشابَّةً فلم آمَن الشيطان عليهما".

وفي رواية: قال الفضل رضي الله عنه: "فكنت أنظر إليها، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم فقلب وجهي عن وجهها، ثم أعدت النظر، فقلب وجهي عن وجهها، حتى فعل ذلك ثلاثًا، وأنا لا أنتهي"، وفي رواية: "فأقبلت امرأة من خثعم وضيئة تستفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطفق الفضل ينظر إليها وأعجبه حُسْنها" (الحديث في الصحيحين وغيرهما انظر رواياته في جلباب المرأة المسلمة صـ ٦٢).

الاستدلال من الحديث:

لمن قال بجواز كشف الوجه: قال ابن حزم: فلو كان الوجه عورة يلزم ستره، لما أقرَّها عليه السلام على كشفه بحضرة الناس، ولأمرها أن تسبل عليه من فوق، ولو كان وجهها مغطى ما عرف ابن عباس أحسناء هي أم شوهاء، فصحَّ كل ما قلناه يقينًا، والحمد لله كثيرًا (المحلى: ٢/٢٤٧)، وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

باب الفقه

أحكام الصلاة

ما يُقالُ عَقِبَ الصلاة

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فقد تكلمنا في الحلقة السابقة عما يفعل عَقِبَ الصلاة فذكرنا الأحاديث التي وردت في ذلك وما يستحب للمصلي فعله عَقِبَ الصلاة ونكمل في هذه الحلقة الحديث عما يُقالُ عَقِبَ الصلاة من أذكار.

لقد حثَّ الدين الحنيف على أن يتَّصل الإنسان بربه، ليحيي ضميره وتزكو نفسه ويتطهر قلبه، ويستمد منه العون والتوفيق، ولأجل هذا جاء في محكم التنزيل، والسنة النبوية المطهرة ما يدعو إلى الإكثار من ذكر الله عز وجل على كل حال، فقال عز وجل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» (الأحزاب:٤١-٤٢)، وقال سبحانه: «وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» (الأحزاب:٣٥)، وقال جل شأنه: «وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (الأنفال:٤٥)، وقال تعالى «وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ» (آل عمران: ٤١).

كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حث على ذكر الله، ونوَّه بفضل الإكثار منه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة، فمرَّ على جبل يُقال له جُمْدان، فقال: سيروا، هذا جُمْدان، سبق المُفَرِّدون، قالوا: وما المُفَرِّدون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات» رواه مسلم.

وعن أبي الدَّرداء رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخيرٌ لكم من إنفاق الذهب والورق، وخيرٌ لكم من أن تلقَوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكرُ الله» رواه الترمذي وأحمد وصححه الألباني.

وللذكر عقب الصلاة شأن عظيم، حث عليه النبي صلى الله عليه وسلم، ورغب فيه قولًا وفعلًا، وقد دل على ذلك مجمل قوله تعالى: «وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ» (ق: ٤٠). قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أمره أن يسبح في أدبار الصلوات كلها» (أخرجه البخاري٤٨٥٢).

ولذا قال الإمام النووي رحمه الله: «أجمع العلماء على استحباب الذكر بعد الصلاة، وجاء فيه أحاديث كثيرة صحيحة في أنواع منه متعددة» (الأذكار ص٦٦).

والذكر بعد الصلاة من المواضع التي يتأكد فيها الذكر، فينبغي للمسلم أن يتعلم هذه الأذكار، وأن يحرص على الإتيان بها في مواضعها، وألا تأخذه العجلة، فيتركها، فيفوته خير كثير، كما عليه كثير من الناس اليوم. وسأذكر شيئًا من هذه الأذكار بسياق أحاديثها؛ ليكون المسلم على بصيرة من ذلك إن شاء الله تعالى، وليحرص على التقيد

بالألفاظ الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن ذلك أكمل في التعبد.

والذكر عَقِبَ الصلاة يكون بالاستغفار، ويكون بالاستعاذة، ويكون بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، ويكون بتلاوة آيات من القرآن، ويكون بالدعاء. ونُفْرِدُ لكل بحثًا منفصلًا.

أولاً: الاستغفار:

من السنن الثابتة الاستغفار عقب الصلاة، وقد بدأت به؛ لأنه كان أول ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من الذكر عقب الصلاة، ويُسَنُّ أن يكون ثلاث مرات، والأصل في ذلك ما ثبت من حديث ثَوْبان رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا، وقال: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام...» قال الوليد فقلت للأوزاعي كيف الاستغفار قال تقول: أستغفر الله، أستغفر الله. رواه مسلم.

ويصح الاستغفار بأية صيغة من الصِيغ، كأن يقول: (أستغفرُ الله) يكررها ثلاثًا، أو يقول (أستغفرُ الله الذي لا إله إلا هو الحيَّ القيُّومَ وأتوبُ إليه) يكررها ثلاثًا، أو يقول (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتَني وأنا عبدُك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعتُ، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوءُ لك بنعمتك عليَّ وأبوءُ بذنبي، فاغفرْ لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) يكررها ثلاثًا.

ثانياً: التسبيحُ والتحميدُ والتكبيرُ والتهليلُ:

يأتي التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل بعد كلام الله في المنزلة والفضل، فعن سَمُرَة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهي من القرآن لا يضرُّك بأيِّهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» رواه أحمد ومسلم. وقد خلت رواية مسلم من «وهي من القرآن».

ومما يدل على فضل هؤلاء الكلمات الأربع أيضًا ما رُوِي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لأنْ أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس». (رواه الترمذي. قال الألباني: صحيح).

ومما جاء في فضل التهليل والتحميد ما ثبت عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله» (رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١١٠٤).

وقد حثَّت الأحاديث النبوية الشريفة على قول هؤلاء الكلمات عقب الصلوات، وتباينت في مقدار ما يقال منها، فقد ورد قولها عشرًا، وورد قولها ثلاثًا وثلاثين، وورد قولها خمسًا وعشرين، وورد أقل من ذلك وأكثر، والمسلم يختار ما يشاء من ذلك مما يتسع وقته له ومما يقوى عليه.

وذكر أهل العلم أن المأثور منه أنواع:

أحدها: أنه يقول هذه الكلمات عشرًا عشرًا؛ فالمجموع ثلاثون.

والثاني: أن يقول كل واحدة ثلاثًا وثلاثين؛ فالمجموع تسع وتسعون.

والثالث: أن يختتم ذلك بالتوحيد التام فالمجموع مائة.

والرابع: أن يقول كل واحد من الكلمات الأربع خمسًا وعشرين فالمجموع مائة. (انظر الفتاوى الكبرى- ابن تيمية).

وإليك بيان ذلك من السنة:

١- ما ورد من الأحاديث في التسبيح والتحميد والتكبير عشرًا: عن أبي هريرة قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم. قال: كيف ذاك؟ قالوا: صلوا كما صلينا، وجاهدوا كما جاهدنا، وأنفقوا من فضول أموالهم، وليست لنا أموال. قال: أفلا أخبركم بأمر تدركون من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم، ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله؟ تسبِّحون في دبر كل صلاة عشرًا، وتحمدون عشرًا، وتكبِّرون عشرًا» (رواه البخاري في باب الدعاء بعد الصلاة).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خَلَّتان لا يُحصيهما رجلٌ مسلم إلا دخل الجنة، وهما يسير ومن يعمل بهما قليل، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصلوات الخمس يسبِّح أحدكم في دُبُر كل صلاة عشرًا، ويحمد عشرًا، ويكبِّر عشرًا، فهي خمسون ومائة في اللسان، وألف وخمسمائة في الميزان، وأنا رأيت

رسـول الله صلى الله عليه وسلم يَعقدُهُنَّ بيده...» (رواه الأربعة وصححه الألباني).

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: «فهي خمسون ومائة في اللسان وألف وخمسمائة في الميزان»: أنَّ كل واحدة من هؤلاء الكلمات الثلاث تقال عشر مرات عقب كل صلاة من الصلوات الخمس، فيكون المجموع خمسين كلمة، وحيث إنها ثلاث كلمات فيصبح مجموعها كلها مائة وخمسين كلمة، ويضاعفها الله سبحانه الواحدة بعشر، فتصبح ألفا وخمسمائة.

فهذان حديثان في قول التسبيح، والتحميد، والتكبير عشرًا عشرًا عقب الصلوات.

أما التهليل عشرًا وهو الجملة الرابعة، فعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَن قال في دُبُر صلاة الفجر وهو ثانٍ رجليه قبل أن يتكلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات، كُتب له عشر حسنات، ومُحي عنه عشر سيئات، ورُفع له عشر درجات، وكان يومَه ذلك كلَّه في حرز من كل مكروه، وحُرس من الشيطان، لم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله» (رواه الترمذي، وقال الألباني: حسن لغيره).

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال إذا صلى الصبح: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، عشرَ مرات كنَّ كعدل أربع رقاب، وكتب له بهنَّ عشرُ حسنات، ومُحي عنه بهنَّ عشرُ سيئات، ورُفع له بهنَّ عشرُ درجات، وكنَّ له حرَسًا من الشيطان حتى يمسي، وإذا قالها بعد المغرب فمثل ذلك» (رواه أحمد قال الألباني حسن صحيح).

وعن أم سلمة رضي الله عنها «أن فاطمة رضي الله عنها جاءت إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم تشتكي إليه الخدمة فقالت: يا رسول الله! والله لقد مَجِلَتْ يدي من الرَّحى، أطحن مرة وأعجن مرة، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنْ يرزقْكِ الله شيئًا يأتك، وسأدلُّكِ على خير من ذلك... وإذا صليتِ صلاةَ الصبح فقولي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات بعد صلاة الصبح، وعشر مرات بعد صلاة المغرب، فإن كل واحدة منهن كعتق رقبة من ولد إسماعيل، ولا يحل لذنب كسب ذلك اليوم أن يدركه إلا أن يكون الشرك، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وهو حرسُكِ ما بين أن تقوليه غدوةً إلى أن تقوليه عشيَّة من كل شيطان ومن كل سوء» (رواه أحمد. قال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره).

وقولها: مَجِلت يدي من الرحى: أي يبست يدي وصارت خشنة من كثرة العمل بالرحى.

وعن عبد الرحمن بن غنم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قال قبل أن ينصرف ويثني رجليه من صلاة المغرب والصبح: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير. عشر مرات؛ كتب الله له بكل واحدة عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكانت له حرزًا من كل مكروه وحرزًا من الشيطان الرجيم، ولم يحل للذنب أن يدركه إلا الشرك، وكان من أفضل الناس عملًا إلا رجلًا يفضله يقول أفضل مما قال» (رواه أحمد وقال الألباني: حسن لغيره).

فهذه الأحاديث نصٌّ في قول التهليل عشر مرات عقب الصلاة.

وينبغي ملاحظةُ أن التهليل عشر مرات إنما ورد تقييده بصلاتي الفجر والمغرب فحسب، فيُندب ذكرُه عشرًا عقب هاتين الصلاتين، ثم إن صيغة التهليل وردت متفاوتة في الأحاديث الثلاثة، فالمسلم بالخيار بين أيٍّ من هذه الصيغ.

وقد وردت أيضًا أحاديث فيها ذكر التهليل دون عدد بألفاظ مختلفة، وسنأتي بها فيما بعد.

نسأل الله أن يفقهنا في ديننا، والحمد لله رب العالمين.

الأخوّة صفة نادرة ولزماننا مغادرة

عقد الأُخوّة الصحيح لا ينقطع على طول الزمان الفسيح (٤)

إعداد د. عماد عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله على نعمه الباطنة والظاهرة وأياديه المتواترة المتظاهرة، والصلاة على خاتم النبيين ذي الفضائل الباهرة، وآله وعترته الطاهرة، وصحابته الأنجم الزاهرة، ما ضحكت أزهار الرياض من بكاء السحب الغامرة.

وبعدُ، فمن أهم الصفات فيمن تُؤاخيه وتُصاحبه وتُواخيه - لكي تَكمل أركانُ عقد الأخوّة وتُستوفى شروطه- اتِّصافُ من تتَّخذه أخًا وصاحبًا بالعقل الجيد والفهم الواسع ليُحسن تعقُّل الأمور ووزنها، وهذا الركنُ هو الثَّالثَ في عَقْدنا الأَخَوي.

ثالثًا: العقل:

وهُو أجملُ حُلَّة وأجَلُّ حلْية إذ الواقف على شاطئه هو الموفَّق والمُعان، والوالجُ في لُجَّته هو الراسخُ المعصومُ، بينما عند مَغيب العقل يُصبح الشَّخصُ الشَّاخصُ شبيهًا بالأنعام، ويلعبُ الشيطانُ به كتلاعبَ المشركينَ بالأزْلَام، ولا عجب فقد رُفعَ عنه القَلَم لما فَقَد من العرْفَان، لا يدري ما حوله كالولهان، وأمّا مع نقْصانه وبانتقاصه يَصير المرءُ كالطَّيْر مقطوعَ الجَنَاحيْن كسيرَ الجانبَيْن، فلا هو يَمْشي ولا هو يطير، وهذا أمر قرَّرته الآيات والأخبار وشدّ معاقدَه السَّلف الأخيار، وشيّد معاقلَه العُلماء والأحْبَار النُّظَّار، وإذا اتَّضح الدليل ووضح السبيل، فلا مناصَ من الإقرار ولا موضع للإنكار.

ولولا ما يطرأ على البشر من الخطأ والزلل، ويطرق أفكارهم من العلَل، وما جُبلُوا عليه وفُطروا من الخَلَل، لكان العاقل قريبًا من العصمة والنجاة لكن من رحمة الله تعالى أنه لم يترك العقل وحده، بل أرْدَفَه ببعْثَة الرُّسل لبيان الشرائع والأحكام، ودلالة النَّاس على

طريق النجاة ودعوتهم إلى دار السَّلام، إذ إن نورَ العقل وحدَهُ لا يكفي بل لابُدّ من الرُّسل الهُدَاة، والآمرين النَّاهين من أتباعهم الدُّعاة حتى تقوم الحجة الرسالية ولذا لا تخلو الأرض من قائم لله بالحُجَة ولذا قال تعالى: «وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى» (طه: ٣٤)، وقال أيضًا: «وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ» (القصص: ٤٧).

إنَّ العقلَ وإن كان حقًّا لا يُعارض، وحكمة لا ينكسرُ قانونُها وكمالًا لا يحومُ النقصُ حول حمَى كمالها إذا كان على وجهه وعلى طريق الاستواء شريطةَ أن ينضبط بالوحي المبارك من كتاب الله - تعالى- الناطق وحديث النبي - صلى الله عليه وسلم- الصادق، أمَا إن كان يغدو ويروح بغير الوحي ويذهب ويجيء بدونه فذاك قليلُ الخير ناضبُ المَعين، ورحم الله تعالى ابن القيم حين قال عن العقل: ومدار العلم بالوحي على الفهم والمعرفة، ووفور العقل. (زاد المعاد: ٥/٥٦٥).

إنَ اجتماعَ الوحي الصحيح النقيَ والعقل السليم السويِّ نور على نور لأنَ العقل وعاءُ الوحيِ فالوحيِ بدون العقل ولا تُعرف مَعارفُه ولا تدركُ مَداركُه ولا تُفهم مقاصدُه ولا يُنتفع به بل يصبح كزرع في أرض بور لا حياة فيها فلا تُنبتُ كلأً ولا زَرْعًا والعقل بدون الوحي كمن يمشي في الظلمات ليس بخارج منها ولهذا سمَى الله الوحيَ نورًا في قوله تعالى: «وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (الشورى: ٥٢).

قال ابن القيم: فسمَاه روحًا لما يحصل به من الحياة، وجعله نورًا لما يحصل به الإشراق والإضاءة، وهما متلازمان فحيثُ وُجِدتْ هذه الحياة بهذا الروح وُجِدتْ الإضاءة والاستنارة، وحيثُ وُجِدتْ الاستنارة والإضاءة وُجِدتْ الحياة، فمن لم يقبل هذا الروح فهو ميّتٌ مظلمٌ كما أن مَن فارقَ بدنَه روح الحياة فهو هالك مضمحلٌ فلهذا يضرب الله المثلين: المائيّ، والناريّ معًا لما يحصل بالماء من الحياة وبالنار من الإشراق والنُّور اهـ. (الوابل الصيب: ص ١٢٤- ١٢٥).

إن المؤمن العاقل تجده كثير الخير قليل أو منعدم الشر فهو لا يكاد يؤذي الفاجرَ ولا البرَّ بل لا يضرُّ الذرّ وذلك لكمال إيمانه واكتمال فطرته وعقله، قال ابن القيم: وهكذا المؤمن قلبه مضيء يكاد يعرف الحق بفطرته وعقله ولكن لا مادة له من نفسه، فجاءت مادة الوحي فباشرتْ قلبَه وخالطتْ بشاشتَه فازداد نورًا بالوحي على نوره الذي فَطَره الله تعالى عليه، فاجتمعَ له نورُ الوحي إلى نور الفطْرة، نورٌ على نور، فيكاد ينطق بالحق وإن لم يَسمع فيه أثرًا، ثم يسمع الأثر مطابقًا لما شهدتْ به فطرتُه فيكون نورًا على نور، فهذا شأنُ المؤمن يدركُ الحقَ بفطرته مُجْملًا ثم يسمع الأثر جاء به مفصَلًا، فينشأ إيمانُه عن شهادة الوحي والفطرة اهـ. (الوابل الصيب: ص ١٢٣).

واعلـم أنني تعمدت الإشـارة إلـى أهمية الإيمان مع العقل وأنه لابد من تواطؤ نور الوحي مع نور العقل وسلامة الفطرة لما غلب على الناس من فساد تصورهم وسوء ظنهم وحُسْبانهم أنَ العاقلَ هو الفصيح اللَّبِق الذي يُحسن التَّلاعبَ بالنَّاس ويُجيد الوُلـوج في المضائق، ويُحسن الخروجَ من المآزق وكلما رأوا الرجلَ كثيرَ الكلام مُغرمًا صبًّا بالزِّحام كَارهًا للعُزْلة مُحبًّا للخُلطة قالوا هذا هو الضالّة المَنشودة والدُّرّة المفقودة ولم يلتفتوا إلى ضَعْف إيمانه وقلّة صلاته وإحسانه وتَمَسَكوا به ورجعُوا إليه في أمُورهم ورجعُوا إليه وشَاوَرُوه في شؤونهم وعدُوه فرد زمانه، وحَسبوه قدوة أوانه، وظنُوه وحيدَ أقرانه، وفَريدَ إخوانه وعديمَ خَلّانه، وهذه والله من الطَّوَامّ التي بُلِي بها المسلمون على السَّواء منهم الخواص والعوامّ.

لذا وجب التنبيه على اشتراط الإيمان في العاقل ولأجل هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقيٌّ" (رواه أبو داود).

ولـو كـان الأمـر بـالـذكـاء وحـده والفقاهة

والفهامة لكان أولاهم بذلك أبو جهل وأبو لهب وغيرهم من كبراء قريش ممن كانوا على نصيب وافر من الخاطر العاطر في أمور الدنيا لكن أبى الله إلا أن يوفق الصالحون.

هتف الذكاءُ فقال لستُ

بنافعٍ إلا بتوفيق من الوهّاب

فلا بد من توفيق الله وتيسيره ومعونته وهدايته "وما توفيقي إلا بالله"

إذا صحَّ عونُ الله المرءَ لم يجدْ

عسيرًا من الآمالِ إلا مُيَسَّرا

ومن حكمة الله تعالى أن جعل الدين من عنده منزّلًا لا بالعقل مؤوّلًا ولا مبدّلًا ولذا فبعض الأحكام تأتي على خلاف العقل ولعل ذلك من باب الابتلاء والفتنة ليظهر من يتبع الشرع ممن ينقلب على عقبيه، فعن علي رضي الله عنه، قال: لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على ظاهر خفيه. (رواه أبو داود: ١٦٢، واسناده صحيح).

وقد علّق البخاري في كتاب الصوم أثرًا فقال: وقال أبو الزناد: إن السنن ووجوه الحق لتأتي كثيرا على خلاف الرأي، فما يجد المسلمون بُدًّا من اتباعها، من ذلك أن الحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة. اهـ (صحيح البخاري ٣/٣٥).

وفي المقابل فأصل كلِّ بليّة ومادةُ كلّ فتنة ترْكُ العقْل والعمَل بالهوى وهذا باب الشّهواتَ والأخذِ بالرأي المجرَّد وإهمال أمْر الشَّرع وهذا باب الشبهات.

قال ابن القيم: وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع، والهوى على العقل. (إغاثة اللهفان: ٢/١٦٧).

نعمة العقل:

اعلم أنّ وجودَ العقْل نعمةٌ كبيرةٌ فمن جهة الحُجّة برهانُه أنْور، وسلطانُه أقْهَر، وبيانُه أبْهَر، ومن جهة الشَّرف فشأوُه أبعدُ، وشرفُه أجدّ وأصعدُ، ولذا كان فقدُه بلاءً وعناءً وعدمُه في الأثر أوجع وميسمُه في الشكل ألْذَع، وأثرُهُ أشدُّ وحدُّه أحَدّ وهذا أمر يدركه بادي الرأي قبل الذكي اللبيب والفطن الأريب.

والصاحب العاقل معينٌ على المعروف وفاتحٌ لأبواب الخير في فعله وقوله، ففعله خيرٌ وبرٌّ، وكلامُه إحسانٌ لا تجد فيه ما يضرّ، والعاقل تجده أحوذيًّا قد أعدَّ للأمور أقرانَها.

وتعلم رجاحَةَ العقل وحدة الذهن في صاحبه بعدم ذَهَاب مُهْجته وبقاء بَهجَته.

إنّ العاقلَ يُضمر الوُدَّ لصاحبِه ولو كان ذلك على البُعد وتراخي المزار.

وللحديث بقية إن شاء الله،

والحمد لله رب العالمين.

تهنئة واجبة

«مستقبل الصحافة الدينية في مصر»

حصلت الباحثة أماني عادل عبد المقصود على درجة الماجستير بتقدير «ممتاز»، من قسم الإعلام بجامعة المنوفية، وقد تكونت لجنة المناقشة والحكم على الرسالة من كل من:

أ.د/ ندية عبد النبي القاضي.

أ.د/ عبد الجواد سعيد ربيع.

أ.د/ أحمد أحمد زارع.

وكان موضوع الرسالة حول مستقبل الصحافة الدينية الإسلامية في مصر خلال الفترة من ٢٠١٥ حتى ٢٠٢٥م.

وأسرة تحرير مجلة التوحيد يتقدمون بخالص التهاني للزميلة الفاضلة، متمنين لها دوام التوفيق والازدهار.

فقر المشاعر

بعض مظاهر فقر المشاعر

إعداد: د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد تحدثنا في أعداد سابقة عن الارتقاء بالمشاعر.

مظاهر أخرى لفقر المشاعر

فمن ذلك قلة المراعاة للمشاعر حال تقديم النصيحة، فتجد بعض الناصحين لا يُلبس نصيحته أثوابًا ملائمة لأحوال المنصوحين، ولا يبالي بأقدارهم، ومنازلهم، بل ربما ألقاهم جزافًا دون تلطف، وحسن مدخل وتأتٍ.

وقل مثل ذلك في حال بعض المنصوحين؛ حيث تراهم يردُّون النصيحة، ويزرون بالناصح.

وكم سقت في آثارهم من نصيحة
وقد يستفيد البغضة المتنصح

ومن ذلك قلة المراعاة لمشاعر العُمَّال، والغرباء، والصغار، والمرؤوسين، وذلك باحتقارهم، أو هضم حقوقهم أو ما شاكل ذلك.

ومن هذا القبيل قلة المراعاة للمخالفين والخصوم حال الردِّ والمناقشة أو المجادلة، ولا يعني ذلك ترك الرد أو قوة الحجَّة فيه، وإنما المقصود من ذلك ما يكون من الظلم، والزيادة، والبغي، والاستطالة.

ومن ذلك قلة المراعاة لمشاعر المراجعين من قِبَل بعض الموظفين؛ حيث يستقبلونهم بتثاقل، وبرود، ويقدمون لهم الخدمة بمنَّة وتباطؤ.

ومن ذلك قلة المراعاة لحقوق الأخوة والصداقة، كقلة التعاهد، والتزاور، والجفاء، وكثرة التجنِّي، وما جرى مجرى ذلك.

ومن ذلك قلة المراعاة لمشاعر المريض أثناء زيارته، كحال مَن يذم الطبيب الذي يعالج المريض، أو الذي أجرى له العملية الجراحية، أو كحال من إذا زار المرضى أن يذكر لهم أقوامًا أصيبوا بمثل ما أصيبوا به فماتوا.

ومن مظاهر فقر المشاعر ما يقع بين جماعة المسجد الواحد؛ فهم يجتمعون لأشرف الغايات ألا وهي عبادة الله عز وجل بأداء الصلاة، وليحققوا مقصدًا من أعظم مقاصد الدين ألا وهو الاجتماع، والألفة، والمحبة.

ومع ذلك تجد جماعة بعض المساجد لا يراعون هذا الجانب؛ فتجد أن العلاقة بين الإمام والمؤذن وهذا مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم». (رواه مسلم ٢٨١٢).

فالذي ينبغي لهؤلاء أن يقطعوا على الشيطان طريقه، وألا يسترسلوا مع الظنون السيئة، فينبغي للإمام أن يراعي مأموميه، وأن يرفق بهم، وأن يتحمل بعض ما يصدر منهم من جفاء، أو كثرة اقتراحات، أو انتقاد.

كما ينبغي أن يُنزلهم منازلهم، وأن يبادرهم بالسلام والتحية، خصوصًا كبار السن، ومن لهم قدر وجاه.

كما عليه أن يراعي مشاعر الصغار، والمقصرين، وأن يأخذ بأيديهم إلى الصلاح.

كما عليه أن يحفظ عرضه وذلك بالانضباط، والاعتذار حال المغيب، وأن يوكل الكفء إذا كان لديه عذر.

والله من وراء القصد.

من أعلام القراءات
الشيخ محمد المتولي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: حديثنا بعون الله في هذا العدد عن علَم من أعلام القراءات في العصر الحديث؛ إنه الشيخ العلامة محمد المتولي، خاتمة المحققين، وشيخ المقارئ المصرية في زمنه، والذي كان يُلَقَّب بـ(ابن الجزري الصغير).

اسمه ونسبه:

هو محمد بن أحمد بن الحسن بن سليمان الشهير بالمتولي.

مولده:

وُلِدَ سنة ١٢٤٨هـ- ١٨٣٢م بالدرب الأحمر بالقاهرة.

صفاته وأخلاقه:

كان ضريرًا (مكفوف البصر)، قصيرًا، أحدب الظهر.

تواضعه:

كان في مقدمة كتبه وخواتيمها يصف نفسه بالعجز والفقر والتقصير، ويترحم على من رأى زللًا أو خطأ بكتبه فبيَّنه وأصلحه، ويدعو أن تكون مؤلفاته خالصة لوجه الله.

مَرَّ به فقير فسأله وأراد أن يُقَبِّل يده، فأعطاه المتولي -رحمه الله- قرشًا وقبَّل هو يد السائل.

وجلس مرة في مقرأة ولما انتهى الدور إليه، أخذ بعض الحاضرين يصحح له وهو لا يعرفه، والشيخ يَقْبَل منه بصدر رحب، فلما انتهى قال له: من أي البلاد أنت؟ فقال المتولي: من القاهرة، قال: فإذا رجعت إلى بلدك فاقرأ على شيخ القراء متولي!!

إعداد: د. أسامة صابر

عزة النفس:

كان الشيخ الهنيدي تلميذًا له يقرأ عليه، ثم انقطع فترة، فسأله المتولي عن سبب انقطاعه، فأجابه بأنه لم يكن عنده مال يعطيه إياه أجرًا على إقرائه، فقال المتولي: نحن كالملوك لا نطلب ولا نرد.

الفراسة:

يروي الشيخ علي الضباع فيقول: (كنت غلامًا لا أزال أحفظ القرآن، وكان الشيخ المتولي - رحمه الله- شيخًا للمقارئ، وفي آخر حياته، فكانت وصيته لابن أخته أو صهره: أن اعتنِ بتحفيظ هذا الغلام القرآن، وعلِّمه القراءات، وحوِّل إليه كتبي بعد مماتي، وكان أن صار هذا الغلام (الضباع) شيخ المقارئ ومن كبار علماء القراءات.

كان الشيخ يتمتع بقوة الحافظة، وسعة الاطلاع، والقدرة العظيمة على التأليف نثرًا ونظمًا.

يخبر عنه تلميذه الشيخ الهنيدي أنه كان معه في دار الكتب يقرأ عليه من كتب القراءات، وما أن يفرغ الهنيدي من القراءة حتى يملي المتولي ما سمعه نظمًا في الحال.

طلبه للعلم وثناء العلماء عليه:

لما أتمَّ حفظ القرآن، التحق بالأزهر وتعلَّم العلوم الشرعية والعربية، واهتم بعلم القراءات فحفظ متونه، وبرع فيه وتفرغ للإقراء والتأليف، وانتهت

إليه مشيخة المقارئ والإقراء بالديار المصرية سنة ١٢٩٣هـ-١٨٧٦م، وحظيت مؤلفاته باهتمام العلماء وطلاب علم القراءات، وعلى تحريراته على الطيبة العمل إلى الآن.

قال عنه محمد بن عبد الرحمن البنا:

قال الإمام شيخنا محمد

المتولي الحبر نعم المفرد

وقال حسن الحسيني عنه:

هو الحبر ذو التحقيق قدوة عصره

محمد المتولي عمدة من تلا

وقال الضباع عنه: (الأستاذ العالم العلامة، الحبْر البَحْر الفهَّامَة، المُحقِّق المدقق، المتقن الضابط...).

شيوخه في القراءة:

أخذ المتولي -رحمه الله- القراءات العشر عن شيخين هما: يوسف البرموني، وأحمد الدري التهامي، وكان قد لازم شيخه التهامي، وأكثر الأخذ عنه، وسنده عالٍ؛ حيث إنه بين المتولي وبين ابن الجزري (الذي ترجع إليه الأسانيد) أحد عشر رجلاً، وبين المتولي ورسول الله- صلى الله عليه وسلم- في أحد أسانيده العالية خمسة وعشرون رجلاً.

تلاميذه:

قرأ عليه كثير من كبار العلماء والقراء، وبارك الله في تلاميذه؛ فتصدروا للإقراء ونشر علم القراءات، ومنهم:

١- حسن بن خلف الحسيني، وقد أخذ عنه جماعة منهم ابن أخيه محمد بن علي الحسيني المعروف بالحداد وهو شيخ المقارئ في زمانه.

٢- حسن بن محمد بدير الجريسي (المعروف بالجريسي الكبير).

٣- حسين موسى شرف الدين: أخذ عن المتولي القراءات ونزل دمشق ودرس بها.

٤- خليل محمد غنيم الجنايني: وقد أخذ عنه علماء كثر، منهم: حنفي السقا (وقد أخذ عنه الشيخ إبراهيم شحاتة السمنودي)، وعبد الله البطران (وعنه أخذ عبد الفتاح المرصفي).

٥- رضوان بن محمد بن سليمان المخللاتي: من كبار علماء القراءات والرسم العثماني، وكان من أعظم أعماله كتابة مصحف على الرسم العثماني، وعلى هذا المصحف عوَّل العلماء في عصره وبعد عصره.

٦- عبد الفتاح هنيدي: وعليه قرأ أربعمائة طالب منهم: الشيخ محمد رفعت، والشيخ المقرئ الكبير أحمد عبد العزيز الزيات.

٧- محمد بن عبد الرحمن البنا.

٨- حسن يحيى الكتبي: وهو صهر المتولي.

٩- عبد الرحمن بن حسين الخطيب الشعار، وعنه وعن الكتبي أخذ الشيخ الضباع.

دفاعه عن علم القراءات:

كان له -رحمه الله - جهود عظيمة في الدفاع عن علوم القراءات، وردّ الشبهات عنها، ومن ذلك أن بعضهم زعم أن القراءات لم تتصل بسند عن النبي صلى الله عليه وسلم فَرَدَّ عليهم في رسالة يقول في مقدمتها: (هذه عجالة تشتمل على أسانيد الأئمة القراء الأربعة عشر الذين اتصل سندنا بهم.... هذا وإن الباعث على ذلك أنه بلغني عن بعض أهل عصرنا هذا أنه يزعم أن هذه القراءات لم تكن مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما هو اختراع من أئمة هذا الشأن، ولم يكن لهم مسند في ذلك، وهذه فتنة عظيمة، وجرأة جسيمة، أعاذنا الله وإخواننا من مضلات الفتن، وعافانا وإياهم من جميع المِحَن).

ولما زعَم بعض العلماء أن الضاد كالظاء المعجمة في اللفظ والسمع تصدّى المتولي لهذه الفتنة، ورفَع الأمر إلى شيخ الأزهر، فاستُتيبَ هذا الزاعم فلم يَتُبْ فحُكِمَ بنفيه.

مؤلفاته:

زادت مؤلفاته على الأربعين في علوم القراءات، ومنها:

١- مقدمة رواية ورش.

٢- فتح المجيد في قراءة حمزة من القصيد.

٣- منظومة رواية قالون.

٤- الكوكب الدري في قراءة أبي عمرو البصري.

٥- توضيح المقام في الوقف على الهمزة لحمزة وهشام.

٦- فتح الكريم في تحرير أوجه القرآن الحكيم.

٧- الروض النضير في تحرير أوجه الكتاب المنير.

٨- الوجوه المسفرة في القراءات الثلاث.

٩- عزو الطرق.

١٠- الفوائد المعتبرة في الأحرف الأربعة الزائدة على العشرة.

١١- اللؤلؤ المنظوم في ذكر جملة المرسوم.

١٢- تحقيق البيان في عدِّ آي القرآن.

وفاته:

توفي -رحمه الله- يوم الخميس الحادي عشر من ربيع الأول سنة ١٣١٣هـ- ١٨٩٥م عن خمس وستين سنة، ودُفِنَ بالقرافة الكبرى بالقاهرة.

أسعد أسرة في العالم

إعداد جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

السعادة المنشودة:

حينما أردنا الحديث عن السعادة كان المقصود السعادة في الدارين؛ الدنيا والآخرة، وليس في واحدة دون الأخرى، وذلك أعظم الأهداف؛ أن يحيا الإنسان في دنياه حياة طيبة، ثم يجزيه ربه في الآخرة بأحسن ما كان يعمل، فيزحزحه عن النار ويُدخله الجنة بسلام، فيكون لسانِ حاله ومقاله: «فُزْتُ وربِّ الكعبة».

وقد لخص القرآن العظيم هذه المعادلة بمقدمة ونتيجة بأحسن لفظ وأجمل عبارة في قوله جل وعلا: « مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ » (النحل: ٩٧).

إذن عمل صالح من داخل دائرة الإيمان، يساوي حياة كريمة طيبة، ثم في الآخرة رضا الرحمن.

فما هي مفردات هذا العمل الصالح الذي يضمن تلك السعادة المنشودة لسفينة تحمل الأسرة المسلمة، لتصل بها إلى بر الأمان على شواطئ أنهار الجنة؟

أقول: إن الأسرة المسلمة تبدأ أول ما تبدأ من فردين؛ الزوج والزوجة، الذكر والأنثى، فإذا كان الأساس سليمًا كان البناء شامخًا وعظيمًا. وإذا كان الأساس هشًا وفاسدًا، انهار البناء وصار المشروع كله كاسدًا. وهذا يدفعنا إلى الحديث عن الركن الأول في هذا البناء الأسري.

أولاً: الاختيار الصحيح عند الزواج:

قال تعالى: « وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ » (النور: ٣٢).

قال البغوي: «ومعنى الآية: زَوِّجُوا أيها المؤمنون مَن لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم، والصالحين من عبادكم وإمائكم» (تفسير البغوي: ٣/ ٤٠٧).

ففي اختيار الزوجة قال صلى الله عليه وسلم: « فاظفر بذات الدين ». متفق عليه.

وفي اختيار الزوجة قال صلى الله عليه وسلم: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخُلقه فزَوِّجُوه، إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» رواه الترمذي وحسنه الألباني.

واختيار الزوجة الصالحة سرّ السعادة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا: المرأة الصالحة». (أخرجه مسلم ٤/ ١٧٨).

وكان صلى الله عليه وسلم يدلنا على منابع هذه السعادة التي تبدأ من اختيار المرأة الصالحة. فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أربع من السعادة:

المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء» رواه ابن حبان في صحيحه، وصححه الألباني.

كما أن اختيار الزوج الصالح سر السعادة أيضًا؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض». ومعنى هذا أن حلول البركة والصلاح وحفظ الذرية، وتجنب الفساد والانحراف إنما يكون بصلاح الزوج « وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ».

ثانيًا: التمسك بالهبة الربانية (المودة والرحمة):

دخل الزوجان عش الزوجية، وبدأ قارب الأسرة في الإبحار في بحر الحياة الخضم. وكانت أيام الخطوبة والعقد قبل ذلك مزدانة بالأحاديث العاطفية، والأماني الوردية، والتماس الأعذار، وحسن الظن، وبلع الزلط، وحاشانا الغلط. لا بأس! فقد قال الرحمن في ذلك: « وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (الروم: ٢١). فما الذي حدث ويحدث بعد الزواج؟!

يقولون في المثل: لا أحد يقول: يا رب أتعسني، فلماذا يقعون في شباك التعاسة؟

والجواب: لأنه لم يبنوا العش على الحب، ولم يستصحبوا المودة والرحمة التي وهبها الله لهم، وجعلها حصنًا بينهم، وتذوقوها في الأيام الأولى فلم يتخذوها صاحبًا على مر الأيام. فمن ذا الذي يعشق الهم والغم؟!! والحبيب صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ بالله تعالى من الهم والغم، لأنه يذهب بالمروءة والدين.

عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل وضلع الدين، وغلبة الرجال». (صحيح الأدب المفرد: ص:٢٥١).

قال ابن القيم رحمه الله: «في القلب شعث، لا يلمه إلا الإقبال على الله. وفيه وحشة، لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته. وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته سبحانه وصدق معاملته. وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه. وفيه نيران حسرات: لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه. وفيه طلب شديد: لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه. وفيه فاقة: لا يسدها إلا محبته، والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له. ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة منه أبدًا. (مدارج السالكين: ٣/ ١٥٦).

ثالثا: العشرة بالمعروف:

قال الله تعالى: « وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا » (النساء: ١٩)، قال القرطبي رحمه الله تعالى: قوله تعالى: (وعاشروهن بالمعروف): أي على ما أمر الله به من حسن المعاشرة. والخطاب للجميع، إذ لكل أحد عشرة، زوجًا كان أو وليًا، ولكن المراد بهذا الأمر في الأغلب الأزواج، وهو مثل قوله تعالى: (فإمساك بمعروف)؛ وذلك بتوفية حقها من المهر والنفقة، وألا يعبس في وجهها بغير ذنب، وأن يكون منطلقًا في القول لا فظًا ولا غليظًا ولا مظهرًا ميلًا إلى غيرها. والعشرة: المخالطة والممازجة.. فأمر الله سبحانه بحسن صحبة النساء إذا عقدوا عليهن لتكون أدمة ما بينهم وصحبتهم على الكمال، فإنه أهدأ للنفس وأهنأ للعيش. وهذا واجب على الزوج. وقال بعضهم: هو أن يتصنع لها كما تتصنع له.

وقال يحيى بن عبد الرحمن الحنظلي: أتيت محمد ابن الحنفية فخرج إليَّ في ملحفة حمراء ولحيته تقطر من الغالية (نوع من الطيب)، فقلت: ما هذا؟ قال: إن هذه الملحفة ألقتها عليَّ امرأتي ودهنتني بالطيب، وإنهن يشتهين منا ما نشتهيه منهن. وقال ابن عباس رضي الله عنه: إني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين المرأة لي. وهذا داخل فيما ذكرناه. قال ابن عطية: وإلى معنى الآية ينظر قول النبي صلى الله عليه وسلم: (فاستمتع بها وفيها عوج) أي لا يكن منك سوء عشرة مع اعوجاجها، فعنها تنشأ المخالفة وبها يقع الشقاق. (تفسير القرطبي ٥/٩٧).

وتأتي العشرة بالمعروف من الاقتداء بأخلاق نبينا محمد صلي الله عَلَيْه وسلم؛ فقد كانَ صلى الله عليه وسلم يعلف البَعير، ويَقُمّ (يكنس) البَيْت، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويحلب الشاة، ويأكل مَعَ الخادم ويطحن مَعَهُ إِذَا أعيا،

وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله، وكان يصافح الغني والفقير، ويسلم مبتديًا، ولا يحتقر ما دعي إليه ولو إلى حشف التمر، وكان هين المؤنة، لين الخلق، كريم الطبيعة، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بسامًا من غير ضحك، محزونًا من غير عبوسة، متواضعًا من غير مذلة، جوادًا من غير سرف، رقيق القلب رحيمًا بكل مسلم، لم يتجشأ قط من شبع، ولم يمد يده إلى طمع.

وقد أفرد النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع مساحة للوصية بحسن العشرة بين الأزواج لعلمه صلى الله عليه وسلم أن صلاح الأسرة قوة للمجتمع بأسره فقال: «ألا فاستوصوا بالنساء خيرًا، فإنهن عوان عندكم، ليس تملكون شيئًا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضربًا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلًا، إن لكم من نسائكم حقًا، ولنسائكم عليكم حقًا، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذنّ في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن». الترمذي وحسنه، وأصله في صحيح مسلم.

رابعًا: المعاملة العادلة بين الجميع:

سارت القافلة بتوفيق الله رب البريات، وجاءت الذرية من بنين وبنات، فأوصى الله تعالى بالعناية بهذا النشء تربية وتأديبًا، وتعليمًا وتهذيبًا، لينال الأولاد الرعاية المطلوبة ويشبوا على عمل الصالحات وترك المنكرات. فقال جل شأنه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» (التحريم: ٦).

قال القرطبي رحمه الله تعالى: عن ابن عباس: قوا أنفسكم وأمروا أهليكم بالذكر والدعاء حتى يقيهم الله بكم. وقال علي رضي الله عنه وقتادة ومجاهد: قوا أنفسكم بأفعالكم وقوا أهليكم بوصيتكم. (تفسير القرطبي: ١٨/ ١٩٤).

كما على الآباء أن يلتزموا حسن السيرة ونقاء السريرة ليعود ذلك على أولادهم حفظًا من الله ورعاية كما قال تعالى: «وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا» (النساء: ٩). وقال أيضًا: «وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ» (الكهف: ٨٢).

خامسًا: وعلى الأولاد وصية:

قال تعالى: «وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ» (لقمان: ١٤).

قال القرطبي: «وجملة هذا الباب أن طاعة الأبوين لا تراعى في ركوب كبيرة ولا في ترك فريضة على الأعيان، وتلزم طاعتهما في المباحات، ويستحسن في ترك الطاعات الندب، ومنه أمر الجهاد الكفاية، والإجابة للأم في الصلاة مع إمكان الإعادة، على أن هذا أقوى من الندب، لكن يعلل بخوف هلكة عليها، ونحوه مما يبيح قطع الصلاة فلا يكون أقوى من الندب. وخالف الحسن في هذا التفصيل فقال: إن منعته أمه من شهود العشاء شفقة عليه فلا يطعها، ولما خص تعالى الأم بدرجة ذكر الحمل وبدرجة ذكر الرضاع حصل لها بذلك ثلاث مراتب، وللأب واحدة، وأشبه ذلك قوله صلى الله عليه وسلم حين قال له رجل من أبر؟ قال: (أمك) قال ثم من؟ قال: (أمك) قال ثم من؟ قال: (أمك) قال ثم من؟ قال: (أبوك) فجعل له الربع من المبرة. (تفسير القرطبي: ١٤/ ٦٤).

سادسًا: لا تحزن إن الله معنا:

مفتاح السعادة في قول ربنا جل وعلا: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» (التوبة: ٤٠).

أمسكت بهذا المفتاح هاجر أم إسماعيل عليهم السلام حين سألت زوجها إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم: «آالله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لن يضيعنا».

لا تحزن إن الله معنا، إذن لن يضيعنا.

والأسرة السعيدة التي لا تحزن مهما ضاقت عليها الدنيا لأن الله معها، والأسرة التي توكلت على الله واعتصمت به ليقينها بأنه تعالى لن يضيعها، لا يشك عاقل بأنها: «أسعد أسرة في العالم».

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (٢٢١)

قصة الفالوذج وشهقة النبي صلى الله عليه وسلم

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد علي حشيش

أولاً: أسباب البحث في هذه القصة:

١- وجود هذه القصة في كتب السنة الأصلية يجعل كثيرًا من القصاص والوعاظ يتوهمون أن القصة صحيحة.

٢- وكتب السنة الأصلية: هي التي جمعها مؤلفوها عن طريق تلقيها عن شيوخهم بأسانيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- عامة القراء لا يفرِّقون بين التخريج والتحقيق فيتوهمون من مجرد العزو لإمام من أئمة الحديث الصحة، ولذلك كان لا بد من تخريج هذه القصة وتحقيقها.

٤- إن هذه القصة تسيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم صاحب أعظم خُلق كما هو مبين في قول الله تعالى: « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » (القلم:٤) مقرونًا بأعلى مراتب العلو في الأخلاق.

٥- فكيف بمن هذا خلقه يسأل جبريل- كما ستبين في المتن- ويقوله له ما الفالوذج؟ فيجيب جبريل فيقول: «يخلطون السمن والعسل جميعًا». فشهق النبي صلى الله عليه وسلم لذلك شهقة.

وإن تعجب فعجب أن يشهق النبي صلى الله عليه وسلم عندما يسمع من جبريل الحلواء التي تعمل من الدقيق والسمن والعسل المُسماة بالفالوذج، وكيف يشهق النبي صلى الله عليه وسلم شهقة ويصيح صياح الأطفال المتعلقة قلوبهم بالحلوى؛ فقد قال ابن منظور في «لسان العرب» (١٠/١٩٢): «والشهقة: كالصيحة، يقال: شَهَقَ فلانٌ وشهق شَهْقَةً فمات». وكذا «مختار الصحاح» (ص٣٥٠).

ثانياً: التخريج:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة:

رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَوَّلُ مَا سَمِعْنَا بِالْفَالُوذَجِ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ تُفْتَحُ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ فَيُفَاضُ عَلَيْهِمْ مِنْ الدُّنْيَا، حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الْفَالُوذَجَ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَا الْفَالُوذَجُ؟

قالَ: يَخْلطُونَ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ جَمِيعًا. فَشَهِقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِذَلِكَ شَهْقَةً".

١- أخرجه الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٥هـ في «السنن» (١١٠٨/٢) (ح٣٣٤٠) قال: حدثنا عبد الوهاب بن الضحاك السلمي أبو الحارث، حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثنا محمد بن طلحة، عن عثمان بن يحيى، عن ابن عباس، قال: أول ما سمعنا بالفالوذج... الحديث.

٢- وأخرجه الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني المتوفى سنة ٢٨٧هـ في كتابه «الأوائل» (ح١١٨) قال: حدثنا عبد الوهاب بن الضحاك، حدثنا ابن عياش به.

فائدة: قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٤١٨٣/١٤١/١٢): عبد الوهاب بن الضحاك بن أبان السلمي أبو الحارث الحمصي سكن سلمية بنواحي حمص، روى عن: إسماعيل بن عياش وآخرين، وروى عنه: ابن ماجه، وأحمد بن عمرو بن ابي عاصم وآخرون.

ونستنتج من هذا أن ابن ماجه وابن أبي عاصم كل منهما روى عن عبد الوهاب بن الضحاك فهما من طبقة واحدة، فابن أبي عاصم وُلد سنة (٢٠٦هـ)، وابن ماجه ولد سنة (٢٠٧هـ).

٣- وأخرجه ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المتوفى ٥٧١هـ في «تاريخ دمشق» (٤٣٧١/٣٢٢/٣٧) قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن الباقي، أخبرنا أبو محمد الجهري، أخبرنا أبو الحسنين بن المظفر، أخبرنا عبد الوهاب بن الضحاك به.

ثالثا: التحقيق:

هذا الخبر الذي جاءت بهذه القصة الواهية مسلسل بالعلل:

العلة الأولى: عبد الوهاب بن الضحاك السلمي أبو الحارث الحمصي:

١- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في كتابه «الجرح والتعديل» (٧٤/٦): عبد الوهاب بن الضحاك السلمي قاصُ أهل سلمية، روى عن إسماعيل بن عياش سمع منه أبي بالسلمية وترك حديثه، والرواية عنه، وقال: كان يكذب. اهـ.

٢- قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٣٧٦): «عبد الوهاب بن الضحاك عنده عجائب». اهـ.

٣- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٤٧/٢): «كان يروي عن إسماعيل بن عياش والشاميين، كان يسرق الحديث ويرويه لا يحل الاحتجاج به، ولا الذكر عنه إلا على جهة الاعتبار». اهـ.

٤- ونقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٥٣١٦/٦٧٩/٢) أقوال هؤلاء الأئمة فأقرها ثم قال: وقال النسائي وغيره: متروك، وقال الدارقطني: منكر الحديث، وقال البخاري: عنده عجائب. اهـ.

٥- وقال الإمام الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» (٣٤٦): «عبد الوهاب بن الضحاك عن إسماعيل بن عياش له مقلوبات وبواطيل». اهـ.

العلة الثانية: إسماعيل بن عياش:

١- قال الحافظ ابن رجب في «شرح علل الترمذي» (٧٧٣/٢): «الضرب الثاني: مَن حدَّث عن أهل مصر أو إقليم فحفظ حديثهم، وحدَّث عن غيرهم فلم يحفظ؛ فمنهم إسماعيل بن عياش الحمصي أبو عتبة، إذا حدَّث عن الشاميين فحديثه عنهم جيِّدٌ، وإذا حدَّث عن غيرهم فحديثه مضطرب؛ هذا مضمون ما قاله الأئمة فيه؛ منهم: أحمد، ويحيى، والبخاري، وأبو زرعة».

٢- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٢٤/١): «إسماعيل بن عياش أبو عتبة الحمصي من أهل الشام ما حفظ على الكبر من حديث الغرباء خلط فيه، وأدخل الإسناد في الإسناد، وألزق المتن بالمتن، وهو لا يعلم،

ومن كان هذا نعته حتى صار الخطأ في حديثه يكثر». اهـ.

٣- وفي «سؤالات الإمام أبي داود للإمام أحمد بن حنبل» (٣٠٠) قال أبو داود: «سألت أحمد عن إسماعيل بن عياش فقال: ما حدَّث عن مشايخهم، قال أبو داود الشاميين؟ قال أحمد: نعم، فأما حديث غيرهم عنده مناكير».

قلتُ: ولقد نقل هذا الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٢٨٣/١) وأقره.

٤- ونقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٢٣/٢٤٠/١): أن الإمام البخاري قال: «إذا حدث إسماعيل بن عياش عن أهل بلده فصحيح، وإذا حدث عن غيرهم ففيه نظر». اهـ.

قلتُ: قول الإمام البخاري إذا حدث إسماعيل بن عياش عن غير الشاميين ففيه نظر، وهذا المصطلح له معناه يقول الإمام الحافظ ابن كثير في كتابه «اختصار علوم الحديث» (ص٨٨): «ثمَّ اصطلاحات لأشخاص ينبغي التوقف عليها؛ من ذلك أن البخاري إذا قال في الرجل: «سكتوا عنه» أو «فيه نظر»، فإنه يكون في أدنى المنازل وأردئها عنده، ولكن لطيف العبارة في التجريح فليُعْلَم ذلك». اهـ.

ولذلك قال الإمام الذهبي في «الموقظة» (ص٤٩): «ثم أهم من ذلك أن نعلم بالاستقراء التام: عرف ذلك الإمام الجهبذ، واصطلاحه، ومقاصده، بعباراته الكثيرة، فقول البخاري: «فيه نظر» بمعنى أنه متهم وليس بثقة فهو عنده أسوأ حالاً من الضعيف». اهـ.

٥- الاستنتاج: نستنتج من أقوال أئمة الجرح والتعديل: أن إسماعيل بن عياش إذا حدَّث عن الشاميين فحديثه عنهم جيِّد، وإذا حدَّث عن غيرهم فحديثه مضطربٌ قد خلط فيه، وأدخل الإسناد في الإسناد، وألزق المتن بالمتن، وصار الخطأ في حديثه من غير الشاميين يكثر، وحديثه مناكير وفي أدنى المنازل وأردئها عن غير الشاميين كما بيَّناه آنفًا من «شرح علل الترمذي» لابن رجب و«المجروحين» لابن حبان، و«سؤالات أبي داود لأحمد»، وما نقله الذهبي في «الميزان» عن الإمام البخاري.

فائدة: وهذا من أهم أبحاث الصنعة الحديثية في الراوي الذي إذا حدث عن أهل مصر أو إقليم فحفظ حديثهم وحدَّث عن غيرهم فلم يحفظ».

٦- ومن كان هذا حاله فلا بد من البحث عن بلد الراوي الذي روى عنه واسماعيل بن عياش روى عن محمد بن طلحة، فإن كان محمد بن طلحة من الشاميين قُبِلَ حديثه، وإن كان من غيرهم يُرَدُّ حديثه، ويُصبح حديثًا منكرًا.

٧- ولقد بيَّن الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٩١/٢/٣) بلد محمد بن طلحة وأنه من غير الشاميين فقال: «محمد بن طلحة بن مصرف اليامي الكوفي». اهـ.

فائدة: الراوي محمد بن طلحة جاء في الأسانيد باسمه واسم أبيه، وبالبحث وجدنا أن هناك خمسة رواة قد اشتركوا في اسم الراوي واسم أبيه ممن اسمهم «محمد بن طلحة»، وهذا النوع في علوم الحديث يسمى «المتفق والمفترق» قال الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (٣١٦/٢) النوع (٥٤): «المتفق والمفترق هو متفق خطًا ولفظًا.. منهم من اتفقت أسماؤهم وأسماء آبائهم وقد زلق بسببه غير واحد من الأكابر».

قلتُ: وبالبحث في شيوخ الرواة الخمسة وفي الرواة عنهم تبين من «تهذيب الكمال» (٥٩٠٢/٣٨٥/١٦) للحافظ المزي تبيَّن أن محمد بن طلحة الذي روى عنه: إسماعيل بن عياش، وروى عن عثمان بن يحيى هو: محمد بن طلحة بن مصرِّف اليامي.

٨- ولذلك لا يوجد في «الصحيحين» حديث واحد من طريق: «إسماعيل بن عياش عن محمد بن طلحة عن عثمان بن يحيى» هذا الطريق المنكر وفي أدنى المنازل وأردئها، كما بينا والذي جاءت به هذه القصة الواهية.

حيث جاء بهذا الطريق عبد الوهاب بن الضحاك السلمي الحمصي القصاص الكذاب المتروك، منكر الحديث عنده العجائب كما بينا من أقوال أئمة

الجرح والتعديل.

العلة الثالثة: محمد بن طلحة بن مصرف الكوفي نقل الحافظ ابن حجر في «هدي الساري» (ص٤٦١) أقوال الأئمة فيه: قال ابن سعد كانت له أحاديث منكرة، كان يروي عن أبيه، وأبوه قديم الموت، وكان الناس كأنهم يكذِّبُونه، وقال أبو داود: كان يخطئ، وقال أحمد بن حنبل: لا يكاد يقول: حدثنا في شيء من حديثه، وقال أبو مظفر بن مدرك ثلاثة يتقى حديثهم محمد بن طلحة، وفليح بن سليمان وأيوب بن عتبة. وقال ابن معين ضعيف، وقال النسائي ليس بالقوي. وقال الحافظ في «التقريب» (١٧٣/٢): «له أوهام». اهـ.

ولقد بيَّن الحافظ أن البخاري روى له متابعة، ولم يرد له إلا ثلاثة أحاديث.

قلتُ: ولم يروِ له البخاري ولا مسلم حديثًا واحدًا من الطريق الذي جاءت به هذه القصة الواهية: «إسماعيل بن عياش، عن محمد بن طلحة عن عثمان بن يحيى».

العلة الرابعة: عثمان بن يحيى:

١- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٥٥٧٧/٥٩/٣): عثمان بن يحيى الحضرمي عن ابن عباس، وقال الأزدي: لا يُكتب حديثه، ثم قال: روى عنه محمد بن طلحة وحده.

٢- قال الإمام ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٩٤٧/١٧٣/٦): «عثمان بن يحيى روى عن ابن عباس، روى عنه محمد بن طلحة بن مصرف حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الفالوذج». اهـ.

قلتُ: من قول الإمام الحافظ ابن أبي حاتم نجده لم يذكر في عثمان بن يحيى جرحًا ولا تعديلاً، ونجده لم يرو عنه إلا راوٍ واحد، وأقره الإمام الذهبي كما بيّنا فهو بهذا يكون مجهول العين، وهو من ذكر اسمه، ولكن لم يرو عنه إلا راوٍ واحد.

وحكم روايته عدم القبول، خاصة لو أخذنا بقول الأزدي قال الحافظ في «التقريب» (١٥/٢): «عثمان بن يحيى الحضرمي ضعّفه الأزدي»، وكما بينا تضعيف الأزدي قال: لا يكتب حديثه». اهـ.

فهذا السند الذي جاءت به القصة في أدنى المنازل، كما بينا وهو مسلسل بالعلل التي تجعل هذه القصة الواهية منكرة وموضوعة.

خامسًا: طرق أخرى واهية:

ولقد أخرج هذه القصة ابن جميع الصيداوي في «معجم الشيوخ» (ص٢٠٩)، وابن العديم في بغية الطلب في تاريخ حلب (١٢١٦/٣)، والإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤٠٥/١١)، كلهم من طريق المسيب بن واضح عن إسماعيل بن عياش عن محمد بن طلحة عن عثمان بن يحيى عن ابن عباس مرفوعًا، ولقد بينا أنه سند تالف وزاده ضعفًا على ضعف المسيب بن واضح، قال الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٤٧/٦) (٨٣٩٤/١٦٠٩): «المسيب بن واضح السلمي الحمصي، قال أبو داود: كان يضع الحديث، وقال الدارقطني والعقيلي متروك، وقال الجوزقاني: كان كثير الخطأ والوهم». اهـ.

وهو وعبد الوهاب بن الضحاك بن سلمية بنواحي حمص وهما كذَّابان وضّاعان متروكان، وكذلك قال الإمام الذهبي: هذا حديث منكر.

وقال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٢/٣): «هذا حديث باطل لا أصل له». اهـ.

وقال الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة»، رواه ابن أبي الدنيا عن ابن عباس مرفوعًا، ولا أصل له. اهـ.

قلتُ: رواه ابن أبي الدنيا في «الجوع» (ح٢١١) من نفس الطريق المنكرة: «إسماعيل بن عياش عن محمد بن طلحة عن عثمان بن يحيى عن ابن عباس مرفوعًا»، وهو طريق تالف كما بينا، ومما يزيد هذا الطريق تلفًا أن إسماعيل بن عياش مدلِّس ذكَره الحافظ ابن حجر في الطبقة الثالثة من «طبقات المدلسين» رقم (٢)، وقد عنعنه؛ فالسند تالف، والقصة واهية منكرة.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

الحلقة (٥٠)

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

حوار هادئ للحافظ عثمان بن سعيد الدارمي.. في رد عادية من تأولوا (نزوله تعالى ومجيئه وإتيانه): بـ(نزول رحمته ومجيء أمره وإتيان عذابه)

إعداد د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فمن المهم أن ندرك أن ما يَعِنُّ لنا في زماننا من قضايا الاعتقاد، قد عرض لها من سبقونا بالإيمان، والأهم أن نستوعب ما سطروه من عبارات وحوارات وأن نُفيد منهم؛ كونهم أقرب من عصر النبوة زمنًا، وأكثر بأمور الاعتقاد فهمًا ووعيًا، وأفضل منا انقيادًا وعلمًا وعملاً.. ومن هذا المنطلق ننقل مناظرة جرت بين الحافظ الناقد (عثمان بن سعيد الدارمي) (ت ٢٨٠) وبين (بشر بن غياث المريسي) في مسألة تأويل نزوله تعالى وإتيانه ومجيئه، وقد دُبِّجت هذه المناظرة تحت عنوان: (الرد على المريسي)، وأتى نصها ضمن سلسلة: (عقائد السلف) للنشار ص٢٩٢.

ومما جاء فيها: لقد «ادعى المعارض أن الله لا ينزل بنفسه إنما ينزل أمره ورحمته.. وهذا من حجج من ليس عنده بيان ولا لمذهبه برهان، لأن أمر الله ورحمته ينزل في كل ساعة ووقت وأوان، وإلا فما بال النبي عليه السلام يَحُدُّ لنزوله الليلَ دون النهار، ويُوَقِّت من الليل شطره أو الأسحار؟! أيُقدِّر (الأمر والرحمة) أن يتكلما دونه فيقولا: (هل من داع فأجيب؟؛ هل من مستغفر فأغفر له؟؛ هل من سائل فأعطيه؟)؛ فإن قررت مذهبك، لزمك أن تدَّعي أن (الرحمة والأمر)؛ هما اللذان يدعوان إلى الإجابة والاستغفار بكلامهما دون الله، وهذا محال عند السفهاء فكيف عند الفقهاء؟.. وما بال رحمته وأمره ينزلان من عنده شطر الليل، ثم لا يمكثان إلا إلى طلوع الفجر ثم يُرفعان، وقد علمتم أن هذا التأويل أبطل باطل لا يقبله إلا جاهل؟.

وأمَّا دعواك أن تفسير (القيوم): (الذي لا يزول من مكانه ولا يتحرك)، فلا يُقبل منك إلا بأثر صحيح مأثور عن رسول الله أو عن بعض أصحابه أو التابعين، لأن الحي القيوم يفعل ما يشاء ويهبط ويرتفع إذا شاء ويقبض ويبسط إذا شاء، ومن يلتفتُ إلى تفسيرك مع تفسير الرسول إذا فسّر نزوله مشروحًا منصوصًا، ووقّت لنزوله وقتًا مخصوصًا، لم يدَع لك فيه لبسًا ولا عويصًا.. فكما نحن لا نكيف هذه الصفات، لا

نكذّب بها كتكذيبكم ولا نفسرها كتفسيركم»، وفي هذا إشارة إلى أن التفسير المنهي عنه في عبارات السلف، هو: تفسير الجهمية والمعطلة الذين يصرفون الصفات الخبرية والفعلية عن ظاهرها.. وقد تبعهم في ذلك -للأسف-: الأشاعرة.

وقال ص٣١٧ بنفس المصدر -في تحقيق إتيانه تعالى يوم القيامة لمقاضاة عباده، وفي رد شبه من تأوله بإتيان عذابه-: «وادعيت أيها المريسي في قوله تعالى: (أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ) (الأنعام/ ١٥٨)، وقوله: (إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ) (البقرة: ٢١٠)، أن هذا ليس منه بإتيان.. وأنه لا يأتي هو بنفسه».. إلى أن قال في رد هذا -والكلام لكل من قال بقول المريسي ودان بمذهبه من الأشاعرة-: «قد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله فوق عرشه وسماواته، وأنه لا ينزل قبل يوم القيامة لعقوبة أحد من خلقه، ولم يشكّوا أنه ينزل يوم القيامة ليفصل بين عباده ويحاسبهم ويثيبهم، وتَشَقّق السماوات يومئذ لنزوله، وتنزل الملائكة تنزيلًا، ويحمل عرش ربك فوقهم ثمانية كما قال الله ورسوله، فلما لم يشك المسلمون أن الله لا ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة لشيء من أمور الدنيا، علموا يقينًا أن ما يأتي الناسَ من العقوبات إنما هو أمره وعذابه.. ألا ترى أنه قال: (فأتى الله بنيانهم من القواعد)، ولم يذكر عندها نفخ الصور ولا تشققَ السماء ولا تنزلَ الملائكة ولا حَمْلَ العرش ولا يومَ العرض، ولكن قال: (فخرَ عليهم السقف من فوقهم) في دنياهم، (وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) (النحل: ٢٦) فرد الإتيان إلى العذاب».. ثم ساق لمجيئه تعالى يوم القيامة حديث: (يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيقول المؤمنون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه)، وأثرًا لابن عباس بنحوه.

وفي تفاصيل ما سبق يقول الدارمي في كتابه (الرد على الجهمية) -ضمن (عقائد السلف) ص٢١٥-: «والآثار التي جاءت عن الرسول في نزول الرب، تدل على أن الله فوق السماوات على عرشه بائن من خلقه.. والذي يقدر على النزول يوم القيامة من السماوات كلها ليفصل بين عباده، قادر على أن ينزل كل ليلة من سماء إلى سماء»، إلى أن قال -بعد ذكره أحاديث نزوله كل ليله، ونزوله يوم القيامة للحساب، ونزوله لأهل الجنة-:

«فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها: أدركنا أهلَ الفقه والبصر من مشايخنا، لا ينكرها منهم أحد ولا يمتنع من روايتها، حتى ظهرت هذه العصابة فعارضت آثار رسول الله بردٍّ، وتشمروا لدفعها بجدّ، فقالوا: كيف نزوله هذا؟!

قلنا: لم نُكلَّف معرفة كيفية نزوله في ديننا، ولا تعقله قلوبنا، وليس كمثله شيء من خلقه فنشبّه منه فعلًا أو صفة بفعالهم وصفتهم، ولكن ينزل بقدرته ولطف ربوبيته كيف يشاء، فالكيف منه غير معقول، والإيمان بقول الرسول واجب، ولا يُسأل الرب عما يفعل كيف يفعل وهم يسألون، لأنه القادر على ما يشاء أن يفعله كيف يشاء، وإنما يقال لفعل المخلوق الضعيف الذي لا قدرة له إلا ما أقدره الله عليه: كيف يصنع؟ وكيف قدر؟

ولو قد آمنتم باستواء الرب على عرشه، وارتفاعه فوق السماء السابعة بدءًا إذ خلقها، كإيمان المصلين به، لقلنا لكم: ليس نزوله من سماء إلى سماء بأشد عليه، ولا بأعجب من استوائه عليها إذ خلقها بدءًا، فكما قَدَر على الأولى منهما كيف يشاء، فكذلك يقدر على الأخرى كيف يشاء، وليس قول الرسول في نزوله بأعجب من قوله تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ) (البقرة: ٢١٠)، وقوله: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (الفجر:٢٢).

فكما يقدر على هذا يقدر على ذاك، فهذا المنطوق من قول الله والمحفوظ من قول رسول الله، ليس عليه غبار؛ فإن كنتم من عباد الله المؤمنين، لزمكم الإيمان بها كما آمن بها المؤمنون، وإلا فصرحوا بما تضمرون، ودعوا هذه الأغلوطات التي تلوون بها ألسنتكم، فلئن كان

أهل الجهل في شك من أمركم، إن أهل العلم من أمركم لعلى يقين، ويقال لمن تأول وقال (معنى إتيانه في ظلل من الغمام ومجيئه والملك، كمعنى كذا وكذا)؛ هذا تكذيب للآية صراحًا، تلك معناها بيّنٌ للأمة لا اختلاف بيننا وبين المسلمين في معناها المفهوم المعقول عند جميع المسلمين.. وإنما يأتيهم يومئذ كذلك لمحاسبتهم، وليصدع بين خلقه ويقررهم بأعمالهم ويجزيهم بها، وليُنصف المظلوم منهم من الظالم، لا يتولى ذلك أحد غيره، فمن لم يؤمن بذلك لم يؤمن بيوم الحساب).

ولكن إن كنتم محقين في تأويلكم هذا وما ادعيتم من باطلكم -والتحدي هنا موجه أيضًا لمن سار على هدي جهم وبشر في تأويلاتهم الباطلة- فأتوا بحديث يقوّي مذهبكم فيه عن رسول الله أو بتفسير تأثرونه صحيحًا عن أحد من الصحابة أو التابعين كما أتيناكم به عنهم لمذهبنا، وإلا فمتى نزلت الجهمية من العلم بكتاب الله وبتفسيره المنزلة التي يجب على الناس قبول قولهم فيه، وترْك ما يؤثر من خلافهم عن الرسول وأصحابه والتابعين بعدهم؟..

فإن أبيتم إلا لزومًا لتفسيركم ومخالفة لما احتججنا به من كتاب الله وآثار رسول الله وأصحابه، فإنه ليس لكم من الرسوخ في العلم والمعرفة بالكتاب والسنة ما يُعتمد فيه على تفسيركم لو قد أصبتم الحق؛ فكيف إذا أنتم أخطأتموه؟».

ثم قال فيما يمثل قاعدة وأصلًا عظيمًا في رد كل ما يدعيه أهل التأويل والتحريف في صفات الله: «قد علمتم ذلك -أي أحاديث النزول وآثار الصحابة والتابعين- ورويتموها كما رويناها، فائتوا ببعضها أنه لا ينزل منصوصًا كما روينا عنهم النزول منصوصًا، حتى يكون بعض ما تأتون به ضدًا لبعض ما أتيناكم به، وإلا لم يَدفع إجماعَ الأمة وما ثبت عنهم في النزول منصوصها بلا ضد، منصوصٌ من قولكم أو من قول نظرائكم، لأن أقاويلهم ورواياتهم شيء لازمٌ وأصل منيع، وأقاويلكم ريح ليست بشيء، ولا يلزم شيء منها أحدًا إلا أن تأتوا فيها بأثر ثابت مستفيض في الأمة كاستفاضة ما روينا عنهم، ولن تأتوا به أبدًا..

ثم قلتم: إنما يوصف بالنزول من هو في مكان دون مكان، فأما من هو في كل مكان فكيف ينزل إلى مكان؟)، قلنا: هذه صفةُ خلاف صفة رب العالمين، ولا نعرف بهذه الصفة شيئًا إلا هذا الهواء الداخل في كل مكان النازل على كل شيء، فإن لم يكن ذلك إلهكم الذي تعبدون، فقد صرتم في عبادة ما تعبدون أسوأ منزلة من عبادة الأوثان وعبادة الشمس والقمر، لأن كل صنف منهم عبد شيئًا هو عند الخلق شيء، وعبدتم أنتم شيئًا هو عند الخلق لا شيء، ولأن الكلمة قد اتفقت من الخلق كلهم أن (الشيء) لا يكون إلا بصفة وأن (لا شيء) ليس له صفة؛ فلذلك قلتم: لا صفة له؛ وقد أكذبكم الله فسمى نفسه أكبر الأشياء وأعظم الأشياء وخلاّق الأشياء قال تعالى: (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) (الأنعام: ١٩)، وقال: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) (القصص: ٨٨)».

الدارمي يواصل نقض حجج المتأولين النزول بقرائن اللغة والنقل والعقل:

وفي نقضه دعاوى المتأولين لنزوله تعالى، جعل الدارمي يكشف -في رده على المريسي جـ٢ وهو في (عقائد السلف) ص٣٥٤- عن أنه ليس ثمة «حديث روي عن النبي أنقض لدعواكم من أن الله في كل مكان: من حديث النزول؛ لما أنكم تقولون لا يخلو منه، فكيف ينزل من مكان إلى مكان من هو في كل مكان؟؛ فكان من أعظم حجج المعارض لدفع حديث رسول الله في النزول، حكاية حكاها عن أبي معاوية الضرير لعلها مكذوبة عليه أنه قال: (نزوله: أمره وسلطانه، وملائكته، ورحمته)، وما أشبهها..

فقلنا له: أيها المعارض، أما لفظ الرسول فيَنقُض ما حكيتَ؛ لأن لفظ الحديث (إذا مضى ثلث الليل نزل الله إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من داع فأجيب؟.. الحديث)، فلو كان على ما حكيتَ عن أبي معاوية وادعيته أنت أيضًا أنه: أمره ورحمته وسلطانه، ما كان أمره وسلطانه يتكلم بمثل هذا ويدعو الناس إلى استغفاره وسؤاله دون الله، ولا كانت الملائكة يدعون الناس إلى إجابة الدعوة

والى المغفرة وإعطاء السؤال، لأن الله ولي ذلك دون مَن سواه»..

إلى أن قال: «إن أمر الله وملائكته ورحمته وسلطانه دائبًا، ينزل آناء الليل وآناء النهار وفي كل ساعة لا يُفتر ولا ينقطع، فما بال ثلث الليل خُصَّ بنزوله ورحمته وأمره من بين أوقات الليل والنهار حتى وقّت رسول الله لذلك وقتًا آخر فقال: (إلى أن ينفجر الفجر)؟؛ ففي دعواك: تَنْزِلُ رحمته على الناس في ثلث الليل فإذا انفجر الفجر رُفعت، وهذا والله تفسير محال، وتأويل ضلال، يشهد عليه ظاهر الحديث بالإبطال».

ولا يَكُفُّ الدارمي عن ترداد تعجبه من تلكم التأويلات التي اخترعها جهم ومن تبعه، فيقول: «أرأيت إن كان نزوله: أمره ورحمته، فما بال أمره ورحمته لا تنزل إلا في ثلث الليل ثم إلى السماء الدنيا؟؛ وما بال أمره ورحمته لا تنزل إلى الأرض حيث مستقر العباد ممن يريد الله أن يرحمه ويجيبه ويعطيه؟، وما بالها تنزل إلى السماء الدنيا ثم لا تجوزها؟؛ وما بال رحمته تبقى على عباده من ثلث الليل إلى انفجار الفجر ثم ترجع من حيث جاءت؟؛ وما بال من يريد الله أن يرحمه إذ الله في الأرض، فإذا استرحمه عباده واستغفروه وتضرعوا إليه بَعُدَت عنهم رحمته إلى السماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، ولا يغشيهم إياها وهو معهم في الأرض بزعمك إذ زعمت أن نزوله تقريب رحمته إليهم؟..

والحديث نفسه يُبطل هذا التفسير ويُكذبه، غير أنه أغيظ حديث للجهمية وأنقض شيء لدعواهم، لأنهم لا يُقرون أن الله فوق عرشه فوق سمواته ولكنه في الأرض كما هو في السماء، فكيف ينزل إلى السماء الدنيا مَن هو تحتها في الأرض؟».

وفي رده شبهة أن المجيء والانتقال من مكان إلى مكان والإتيان في ظلل صفات للمخلوق يتنزه عنها الخالق، وأن ذلك أمر يستوجب تأويلها على إضمار وتقدير: (يأتيهم أمره في ظلل من الغمام) وهكذا.. يقول الدارمي ص٣٩٥ من المصدر ذاته: «يقال لهذا المعارض: قد فسَرتَ هذه الآية على خلاف ما عَنَى وفسَرها رسول الله وعلى خلاف ما فسرها أصحابه، قد روينا تفسيرها عنهم في صدر هذا الكتاب بأسانيدها المعروفة المشهورة، فمَن مفسروك هؤلاء الذين تحكي عنهم أنهم قالوا فيها كذا وقال آخرون فيها كذا؟

مَن هؤلاء الأولون والآخرون؟، اكشف عن رؤوسهم وسمِّهم بأسمائهم فإنك لا تكشف إلا عن زنديق أو جهمي لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ولا أحد يحكم لك بتفسير هؤلاء على تفسير هؤلاء الذين سمَّيناهم لك من أصحاب رسول الله مثل ابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وأبي بن كعب ونظرائهم، ومن التابعين مثل سعيد بن جبير ومجاهد والسُّدي وقتادة وغيرهم، فعن أيهم تحكي هذه التفاسير التي تَرُدُّ بها على رب العالمين؟..

وأما ما ادعيت من انتقال مكان إلى مكان أن ذلك صفة المخلوقين: فإنا لا نكيِّف مجيئه وإتيانه أكثر مما وصف كتابه ثم ما وصف رسوله، وقد رُوي عن ابن عباس في تفسيرها: (أن السماء تشقق لمجيئه يوم القيامة وتنْزل ملائكة السموات، فيقول الناس: أفيكم ربنا؟؛ فيقولون: لا، وهو آت؛ حتى يأتي الله في أهل السماء السابعة وهم أكثر من دونهم)، وهو مكذب لدعواك أنه إتيان الملائكة بأمره دون مجيئه، لكنه فيهم مُدَبِّر، ويلك! لو كانت الملائكة هي التي تجيء وتأتي دونه؛ ما قالت الملائكة: (لم يأت ربنا، وهو آت)، والملائكة آتية نازلة حين يقولون ذلك، أرأيتم دعواكم أن الله في كل مكان؟، أوَلم يكن قبل السماء والأرض على العرش فوق الماء، فكيف صار بعدُ في السماء والأرض في دعواكم؛ وفي دعوانا استوى إلى السماء دون الأرض، فكما قدر على ذلك فهو القادر على أن يجيء ويأتي متى شاء وكيفما شاء؟»..

ونحن بدورنا نسأل شيوخنا بالأزهر: أين مَن يتفهم هذا الكلام من الدارمي الذي يحوي إلى جانب قرائن النقل: قرائن اللغة والعقل.. لكن صدق الله: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) (القصص: ٥٦).

والى لقاء آخر.. والحمد لله رب العالمين.

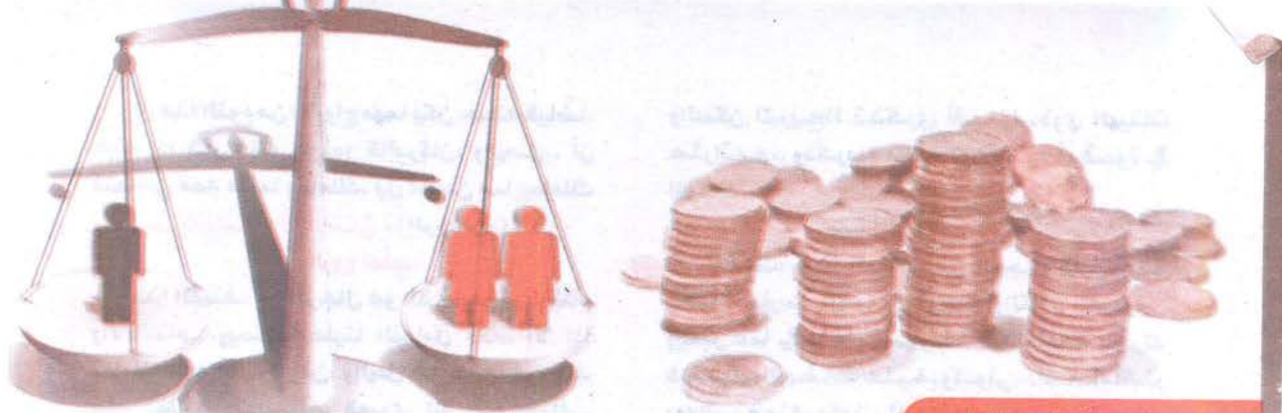

الحلقة الثانية

وللنساء نصيب

إعداد د. ياسر لمعي عبد المنعم

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة التضامن الفرنسية العربية

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد تحدثنا في المقال السابق عن نصيب المرأة من الميراث، وكذلك نصيبها من المنهج والمسؤولية، وأن الإسلام لم يفرق بين الرجال والنساء إلا في بعض التكاليف كصلاة الجماعة في المسجد، والجهاد في سبيل الله... إلخ، وأوردنا تقسيم الرجال على حسب صفاتهم، وكيفية التعامل مع كل صفة، ثم تحدثنا عن الزوج ذي الطبع الحاد (العصبي)، والزوج البارد، والزوج غير الحضاري، والزوج الحضاري، فنكمل حديثنا ونقول- وبالله تعالى التوفيق-:

الزوج الهمجي:

هو الزوج الذي لا يحسن التصرف مع زوجته، بمعنى أنه ليس لديه أسلوب لبق في التعامل معها، ويعتبر زوجته كعاملة لديه تطيع أوامره وتنفذها دون اعتراض..

الحل.. مهما يكن طبع زوجك فاعلمي أن الزوج سيبدو-كطفل صغير- إذا استطاعت الزوجة أن تكسبه بطريقة ذكية، وأما عن أسلوبه فحاولي أن تجلسي معه جلسة مصارحة، تحاولين فيها أن تصارحيه بطريقة حنونة ولبقة عسى أن يُغيِّر أسلوبه معك. فكوني دائمًا كالمياه الباردة التي تطفئ النار المشتعلة وتذكري قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠).

لذلك تقربي منه وأظهري حبك وحنانك واهتمامك، والأهم من هذا (طاعتك) فكوني دائمًا الزوجة المطيعة، الخادمة لزوجها، ولكن هذا لا يعني قهرك وإذلالك، ولكن سددي وقاربي من أجل الحفاظ على بيتك وأسرتك، وسارعي إلى إجابة مطالبه، دون تسويف أو تفويت، وإذا قال لك شيئًا، أو أمرك بأمر بطريقة استفزازية أو بلهجة صارمة قاسية، فحاولي أن تطفئي غضبه بقولك على سبيل المثال: (من عيوني حاضر)! (أَمْرَك)، وهكذا... وبهذه الطريقة تستطيعين أن تطفئي غضبه، وتنالي محبته وتحافظي عليه.. ولا تقولي له-أبدًا- العبارات التي تخلق المشكلات أكثر وأكثر مثل: (أنا لست خادمتك)، (لست عبدة عندك اشتريتها بمالك)، (لا لن أفعل)...

فكوني المرأة الذكية العاقلة، المطيعة الصابرة.. ألا تعلمين أن الصابرة الشاكرة في جنة عرضها كعرض السماوات والأرض؟!

الزوج الحنون:

هو الزوج الذي يحب إسعاد زوجته، ويحزن لحزنها، ويتألم لألمها وتراه -دائمًا- يحب مساعدتها في الأعمال المنزلية لكي ينال رضاها.. وللأسف فإن الكثير من النساء يعتقدن أن هذا يدل على ضعف في شخصية الزوج.

إن هذا النوع من الأزواج مهما يكن حنانه فياضًا، فإنه إذا ثار فإنه سيثور كالبركان، والحل.. أن تتعاملي معه مثلما يعاملك. بل أحسن مما يعاملك «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ» (الرحمن: ٦٠).

الزوج العنيد:

هذا الصنف من الرجال هو الذي يعشق النظام والانتظام.. ويصعب علينا التعامل معه، إلا إذا تعاملنا معه بمهارة وفن، والحل هو عدم خروجك على نظامه وتعليماته، فعبري له عن حبك.. وامدحيه حتى تكسبي ثقته وحبه.. واحذري أن تدخلي معه في نقاش حاد؛ لأنك ستكونين أنت الخاسرة!... لذلك حاولي مناقشته بأسلوب هادئ ورزين، واعرضي نصيحتك بطيبة وعفوية دون محاولة لإجباره على أخذها، وإذا رأيتيه يفعل أمرًا خاطئًا ولا يريد الأخذ بنصيحتك فانصحيه بالذهاب إلى أصدقائه وأقربائه المقربين لسؤالهم وأخذ مشورتهم، حتى يقتنع بما فيه الخير لكما إن شاء الله..

الزوج المراهق:

هو الذي لا يكتفي بالنظر إلى زوجته، بل تراه ينظر إلى النساء الأخريات، وقد يكون لديه مغامرات نسائية تسمعين عنها أو لا تدرين، ربما تجدين أدلة في ثيابه، أو بين أغراضه، تدل على مغامراته، ونصيحتي إليك تكمن في عدم البحث والتلصص؛ لأن البحث والتلصص، وتفتيش الجيوب يؤدي إلى مصائب أدهى وأعظم.

إن هذا النوع من الرجال غالبًا ما يبحث عن شيء يفتقده فيك، ولذلك نراه يسعى إلى البحث عنه عند الأخريات، فحاولي الاهتمام بنفسك، وبمظهرك، وغيري من أسلوبك في الكلام معه، واجعليه يحس بمحبتك له، وشوقك إليه، وسارعي دائمًا إلى السؤال عنه وإرسال الرسائل القصيرة التي تذكره بحبك له وإعجابك به.

وعليك أن تقتربي منه عندما يعود إلى البيت، وأظهري له محبتك وحنانك، وكوني كل يوم امرأة جديدة حتى يعود إلى واحة بيته وأسرته في شوق ولهفة، إن هذا أفضل -بكثير- من البحث عن (المشكلات) وتضخيمها وخلق المشاكل حولها!

وتذكري أنك زوجته، وأنه مهما يبتعد فإنه سيعود إليك ما دام يجد لديك المودة والرحمة، والسكن المريح!! تذكري أقيلوا «ذوي الهيئات عثراتهم»، وذكريه بالله دون جرح أو قسوة في الموعظة.

الزوج الرومانسي:

للأسف، هذا الصنف من الرجال قليل. وهو يجيد ممارسة الحب مع زوجته والكلام المعسول.. ويعبر عما في داخله بسهولة.. فهذا هدية عمرك فحاولي الحفاظ عليه، وكوني -دائمًا- أكثر رومانسية منه، وكوني له مثلما يريد حتى تحققي معه السعادة الزوجية في أبهى صورها..

الزوج الهامس:

أختاه، اعلمي أن داخل قلب كل زوج كنز من العاطفة والرومانسية، وهذا لن يظهر إلا إذا اجتهدت في تحسين معاملتك مع زوجك.. فلا تحاولي أن تحولي حياتك إلى جحيم. فالرجل يتحول إلى طفل صغير إذا استقبلته زوجته بعد عودته من عمله بمظهر لائق وكلام رقيق معسول يريحه من إرهاقه، بعد يوم حافل بالعمل، ويسري عنه همومه وآلامه.

فلا تشتكي -دومًا- من طبعه الحاد وخروجه من المنزل، ولكن اسألي نفسك وراجعيها.. ستجدين أنك -حتمًا- قد قصرت معه في شيء ما!

فاجئيه بالهدايا والكلمات الجميلة، فالمرأة قلبها مملوء بالعواطف والمشاعر، فاستخدميها واغتنميها حتى يتعلم منك كيف يحبك مثل ما تحبينه. ا.هـ.

وقبل أن نختم بابنا هذا أسوق إليك بعض الطرق للوصول لقلب زوجك، جمعتها من أماني بعض الأزواج ومن أحلام بعضهم، وتعليقات ودردشة دارت فيما بينهم فهي حقًا ليست كلمات كاتب أو ألفاظ مؤلف بل هي نقل عن بعض الأزواج.

وقد قمت باختصارها لتقديمها لأختي في الله:

١- أيقظيه -دائمًا- قبل أذان الفجر بربع الساعة، لا بعد أن يؤذن المؤذن، وأعطيه -قبل نزوله- مشروبًا دافئًا أو مثلجًا حسب الفصل المناخي، خاصة إن كان سيصوم هذا اليوم.

٢- استيقظي دائمًا معه صباحًا، وأعدي له الحمام، والفطور، وساعديه في ارتداء ملابسه، لاسيما الجورب وأيقظي أطفالك لمشاركته طعام الفطور.

٣- ودعيه دائمًا بابتسامة، وحذريه من القيادة

المسرعة أو أن يتعامل في المواصلات العامة بطريقة تعصبه، وأكدي له أن يطمئنك على وصوله بمكالمة أو رنة.

٤- اجعلي البيت- دائمًا وأبدًا- نظيفًا ورائحته جميلة حتى ولو كنت متعبة.

٥- اغتسلي وتزيني-دائمًا- قبل حضوره، وكذلك قومي بتنظيف أطفالك وألبسيهم ملابس نظيفة وقت استقباله.

٦- ساعديه في خلع ملابسه وأنت تسألينه كيف كان يومه؟ وأخبريه عن مدى اشتياقك إليه.

٧- أعدي-من آن لآخر- صنفًا يحبه على المائدة، واجعليها مفاجأة.

٨- لا تنامي-أبدًا- قبل أن ينام زوجك، ولا تتأخري عن سريره إذا سبقك إليه، إلا باتفاق معه، واسأليه- من وقت لآخر- إن كان يحتاج شيئًا شخصيًا شرعيًا، وليكن ذلك بصورة ليس مبالغًا فيها.

٩- استقبلي- دائمًا- أهله ومعارفه في حدود ما يسمح الشرع، ولا تتبرمي من زياراتهم.

١٠- إذا قام أي طفل من أهله بإتلاف شيء أو العبث بأي شيء، لا تتحرجي من توجيهه بأدب، ولا داعي للنظر لزوجك ليقوم هو بهذه المهمة.

١١- إذا لاحظتي تقصيره في السؤال عن أحد أقربائه فبادري بالسؤال عنه بالنيابة عنه، وذكريه دائمًا بهذا الأمر.

١٢- لا تخبريه عن أي تصرف غير لائق صدر من أهله، وقومي بالتصرف بأدب، إلا إذا تجاوزوا الحدود فيجب إخباره بهدوء ودون تحميله المسؤولية.

١٣- حاولي أن تندمجي في عائلته، واعرضي المساعدة لهم في أعمال المنزل ولكن دون إهدار لكرامتك، قدمي لهم الهدايا من آن لآخر، ولا تنتظري رد الهدية فغالبًا لن يقوموا بردها!

١٤- لا تصعدي الخلافات بينك وبين أهل زوجك، ولا تقومي بمخاصمة أحد منهم، ولا تمنعي نفسك دخول منزل من أخطأ في حقك، وتعاملي معهم كضيفة لا كصاحبة منزل.

١٥- لا تستخدمي سلاح البكاء والانهيار حتى تحثيه على الانتقام من أي أحد من عائلته قام بتصرف غير لائق معك، فلن تنطلي عليه هذه الحيلة-دائمًا- حتى وإن لم يشعرك بذلك، كما أن ذلك سلوك ليس من الإسلام في شيء.

١٦- لا تصعدي الخلافات بينك وبين زوجك أبدًا إلى الحد الذي يقوم معه بالشكوى منك لأي شخص.

١٧- اعلمي أن الرجل-دائمًا- مستغرق في عمله، هو عالمه؛ لذا حاولي اطلاعه يوميًا على ما يجري حوله، واسردي عليه ما يهمه من الأخبار المحلية والعالمية وشاركيه-أيضًا- المعلومة الدينية التي تعلمتيها في يومك.

١٨- لا تنهري أطفالك أمامه، ولا تشتكي من تصرفاتهم، إلا إذا أردت أن ينهرهم، وحاولي أن يكون ذلك في أضيق الحدود.

١٩- لا تتحدثي-فقط- عن مشاكلك اليومية معه، وإن كنت متضايقة من شيء لا يخصه بُوحي له به، واعملي برأيه.

٢٠- إذا قام أي شخص من طرفك بتصرف غير لائق بادري بالاعتذار له دون إهدار لكرامتك أو كرامة المخطئ.

٢١- إذا قام زوجك بأي فعل يضايقك لا تعاتبيه في الحال، وانتظري يومًا أو يومين ثم عاتبيه بهدوء، ولا تركزي على أنه أخطأ، ولكن ركزي على توضيح ما قد آلمك.

٢٢- أحضري له هدية كل فترة، وأرسلي إليه رسائل رقيقة على هاتفه.

٢٣- لا تجعلي يومًا يمضي دون إخباره أنك تحبينه.

٢٤- احرصي على ارتداء آخر صيحة من الموضة بالبيت، بما يتوافق مع دخلكم، ولا ترهقيه ماديًا، وارتدي الملابس المناسبة بعد الظهيرة وفي المساء، ولا تجعليه يراك برداء واحد خلال اليوم.

٢٥- قومي بتبديل مكان الأثاث كل فترة، وقومي-كذلك- بالتنويع في تسريحة شعرك، وطريقة وضعك لمستحضرات التجميل المباحة.

٢٦- استأذنيه قبل فعل أي شيء حتى إن كان هذا الشيء خروجًا، أو تغييرًا لشيء في المنزل، أو جلبًا لمشتريات أو اتباعًا لنظام غذائي معين.

٢٧- ذكريه-من آن لآخر- بذكرى سعيدة مرت بكم، وكيف كانت ذكرياتكم ممتعة في شهر العسل.

٢٨- أعيدي عليه قراءة خطاباته ورسائله التي كان يرسلها.

٢٩- لا ترهقيه بكثرة طلباتك التي لا تناسب دخله، وإذا أردتِ حثه على تحسين أوضاعكم المادية

لا تقولي له: إن زوج فلانة قد اشترى لها كذا، ناقشيه-فقط- بهدوء وركزي على احتياجاتكم الأساسية.

٣٠- لا تحاولي-أبدًا- إشعاره بأنك كان من الممكن أن تتزوجي أفضل منه.

٣١- حاولي تجديد نفسك وتطويرها دائمًا، وحسني معلوماتك الدينية والعامة.

٣٢- اجعلي له اسمًا للدلع تنادينه به في أوقات صفائكم، بجانب الاسم الذي تناديه به في الأوقات العادية.

٣٣- إذا تأخر عن موعد الغذاء اتصلي به في العمل، وذكريه بأن يأكل، لا تسأليه: أين أنت؟ أو لم التأخير أو من معك، ولكن قولي له: متى تأتينا بالسلامة إن شاء الله؟

٣٤- حثيه-دائمًا- على مقابلة أصدقائه بصفة دورية فهذا سيشعره بالحرية.

٣٥- تجنبي اختلاق الأعذار الواهية لإبقائه بجانبك، وعدم زيارته لعائلته وأصدقائه، فصدقيني هو يفهمك ولكن لن يشعرك بذلك، كما أن ذلك ليس من خلق المسلمة الحقة.

٣٦- جهزي له ملابسه التي سيرتديها صباحًا، وانتقي له أكثر من جورب فلعلك لا تعلمين أي الجوارب سيرتاح في ارتدائه أكثر.

٣٧- لا توقظيه بحدة، بل اهمسي في أذنه بهدوء، وابتسمي في وجهه.

٣٨- كوني-دائمًا- مرحة معه وإن كنت ثقيلة الظل تجنبي الاستظراف، وعوضي ذلك بالابتسام الدائم.

٣٩- إذا أردت طلب شيء منه لابد أن تسبقي طلبك بعبارة لطيفة مثل: لو سمحت، أو: بعد إذنك، واطلبيه بدلال ورقة.

٤٠- مارسي- دومًا- معه كل أنواع (الإتيكيت) المتعارف عليه من طريقة مشي، وجلوس، وكلام، وحاولي أن تشعريه أنك ملكة أو أميرة دون تكبر أو خيلاء.

٤١- أخبريه-دائمًا- عن طرائف الأطفال التي حدثت خلال اليوم.

٤٢- لا تنامي بجانبه معطية له ظهرك، حتى ولو كنت على خلاف معه.

٤٣- لا تتركي المنزل في حالة الخلاف ولا تتركي غرفتك وابدئي أنت بالصلح، حتى ولو لم تكوني مخطئة، فكلمة آسف ثقيلة جدًا على لسان الرجال.

٤٤- أشعريه-دائمًا- بأنه أفضل رجل في العالم، واشعري أنت-أيضًا- بذلك.

٤٥- إذا نهرك أمام الناس لا تردي عليه إطلاقًا، وبعد أن ينتهي أكملي حديثك معه بدون أن تشعريه بأي تغيير من ناحيتك، ولكن عاتبيه لاحقًا.

٤٦- إذا انفعل عليك بمفردكم فابتسمي في وجهه، وإن ظل غاضبًا داعبيه، وإن استمر في غضبه اصمتي، واحذري من ترك الغرفة أثناء توجيهه لك الكلام.

٤٧- رتبي له مواعيده-دائمًا- وبرامج زياراته العائلية، ولا تفرضي عليه زيارة أهلك، بل ذكريه وترجيه أن يقوم بالزيارة من أجل الله، ثم لتحسين صورتك عند أهلك، ولا تخبريه أنك ممتنة عليه بزيارة أهله، ولا تشعريه أن هذه بتلك.

٤٨- كوني صديقة له بحسن استماعك لأحداث يومه دون تبرم إن صدر منه ما يضايقك، وإن أظهرت تبرمك فلن يحكي لك بعدها شيئًا.

٤٩- إذا لاحظتي أن تقصيره في حقك زاد عن حده أرسلي له رسالة توضحين فيها كم اشتقت إليه، وإن لم يستجب أخبريه أن حالتك النفسية قد ساءت لبعده عنك.

٥٠- حاولي-سنويًا- أن تجعليه يذهب في إجازة مع عائلته أو أصدقائه؛ ليريح أعصابه وليتجدد الحب بينكما، هذا بجانب قضائه إجازته السنوية معكم.

٥١- لا تتوقعي منه أن يعاملك برومانسية حالمة، لكن حاولي أن تتأقلمي مع طباعه إذ من الصعب تغييرها.

٥٢- لا تتناقشي معه في موضوع تعدد الزوجات، ولا تُشعريه أنك تخافين أو تقلقين من هذا.

٥٣- ودِّعيه بقبلة واستقبليه بقبلة، وفاجئيه-إن كان مستغرقًا في شيء- بقبلة رقيقة حتى لا يشعر بضيق تنفس.

٥٤- لا تزعجيه بالغيرة أو الشك، وثقي فيه مع الحذر، ولا تحاولي تقصي أخباره من أصدقائه، أو من عمله فهذا أمر يتضايق منه الزوج كثيرًا.

دمتم بخير وسعادة ومودة،،،،

هذا، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد.

حادثا الرجيع وبئر معونة (٢)

إعداد عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله مالك الملك ومدبِّر الأمر، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على البشير النذير سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فإنَّ قَتْلَ أكثر من سبعين رجلًا من خيرَة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ومن حُفَّاظ القرآن في وقت قصير، وفي سنة واحدة، لأمْرٌ جَلَل ترك آثاره من الحزن والألم على المسلمين في المدينة النبوية.

ومما زاد الأمر أن هذا الغدر القاتل الذي أدَّى إلى مقتل هؤلاء الصحب الكرام؛ خُلُقٌ لم يتعوَّد عليه العرب ولم يكن من شيَمهم حتى في الجاهلية، وكان هذا الأمر نازلة شديدة نزلت على المسلمين مما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يدعو على القوم في صلاته شهرًا كاملًا في الأوقات الخمس، والمسلمون يُؤَمِّنُون خلفه، ويذكر القبائل الغادرَة باسمها ويلعنها لعنًا، كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن النبي قنت شهرًا متتابعًا في الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصلاة الصبح، إذا قال: سمع الله لمن حمده في الركعة الأخيرة، يدعو على أحياء من بني سليم، وعلى رعْل وذكوان وعصية، ويؤمِّن خلفه المسلمون. أخرجه أحمد، وأبو داود، وصححه.

ونحن اليوم بعون الله سنحاول الوقوف على ما أمكن بعون الله من أبرز العبَر والدروس المستفادة، ننقل ما ذكره أهل العلم، ثم نضيف ما فتح الله به علينا من الفوائد والعبر، وبسم الله نبدأ وعليه سبحانه نتوكل:

أولا: فوائد من حادث الرجيع:

١- فوائد ذكرها الإمام ابن حجر في الفتح تعليقًا على حديث أبي هريرة.

وفي الحديث أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان ولا يُمكن العدوَّ من نفسه ولو قتل حتف أنفه، من أن يجري عليه حُكم كافر، هذا إذا أراد الأخذ بالشدة- وهو يشير بذلك إلى توقف عاصم بن ثابت رضي الله عنه.

ثم يقول الحافظ: فإن أراد الرخصة فله أن يستأمن، قال: الحسن البصري لا بأس بذلك. وقال: سفيان الثوري: أكره ذلك.

ثم يشير الحافظ إلى موقف خبيب بن عدي، فيقول: فيه الوفاء للمشركين بالعهد والتورُّع عن قتل أولادهم، والصلاة عند القتل، وإنشاد الشعر عند القتل؛ مما يدل على ثباته ورباطة جأشه وعلى يقينه فيما عند الله، وعلى الدعاء على الأعداء.

ومعلوم أن خبيبًا رضي الله عنه قال قبل قتله أبياتًا صارت مضرب الأمثال، فقال:

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا
على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع
فلست بمبدٍ للعدو تخشعا
ولا جزعًا إني إلى الله مرجعي

كما دعا على الكافرين، فقال: «اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تُبْقِ منهم أحدًا».

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: «وفي الحديث إثبات كرامة الأولياء واستجابة الدعاء».

وقال الحافظ رحمه الله: «وفي الحديث: أن الله يبتلي عبده المسلم بما شاء كما سبق في علمه ليثيبه، ولو شاء ربك ما فعلوه».

٢- ويوضح الدكتور البوطي رحمه الله سبب هذا الخُلق الكريم الذي تخلّق به خبيبٌ فيقول: «فانظر إلى معجزة التربية الإسلامية لخبيب، فخبيبٌ هذا، وأولئك المشركون الحاقدون الذين راحوا يصنعون له الموت ظلمًا وعدوانًا هم عربٌ مثله أنبتتهم أرض واحدة، وأظلتهم سماء واحدة، وطبائع وتقاليد واحدة، لكنَّ خبيبًا اعتنق الإسلام فأخرجه الإسلام إنسانًا آخر، وأولئك عكفوا على ضلالتهم وطبائعهم المتوحشة الغادرة، فما أعظم ما يفعله الإسلام في الطبيعة البشرية من تغيير وتحويل». (انظر فقه السيرة ص٢٠٠).

٣- قال أبو سفيان قبل أن يُسلم: «ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحبِّ أصحاب محمد محمدًا». هذه حقيقة شهد بها أبو سفيان قبل إسلامه؛ لأنه رأى ذلك حقيقة واقعة، فقد وجّه سؤالًا واحدًا لكلٍ من خبيب وزيد بن الدثنة، قال لكل منهما بعيدًا عن الآخر: «أتحب أن تكون في أهلك آمنًا ومحمد هنا مكانك». فكانت الإجابة واحدة: «والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه تصيبه شوكة في مكانه الذي هو فيه، وإني جالس في أهلي».

ومحبة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نابعة من إيمانهم بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا ورسولًا، فحبهم لرسول الله من حبّهم لله، ووقائع السيرة والتاريخ أكثر من أن تُحصَى في حب الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: دروس من حادث بئر معونة:

وقد سبق ذكر قصة بئر معونة التي غدر فيها القوم بسبعين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ذهبوا إلى أهل نجد ليعلّموهم الإسلام ويدعوهم إلى الله، وهذا بناءً على طلب من عامر بن مالك، وقد أبدى النبيُّ صلى الله عليه وسلم تخوُّفه على أصحابه وخشيته عليهم من أهل نجد لكن عامرًا وعد النبيَّ بحمايتهم، لكن عامر بن الطفيل لم يحترم جوار ابن أخيه عامر بن مالك واستصرخ على الصحابة الكرام أحياء من العرب فقتلوهم وغدروا بهم غدرًا شنيعًا.

ومن أهم الدروس المستفادة من حادث بئر معونة ما يلي:

١- صدق الصحابة في طلب الشهادة:

لما ذهب حرام بن ملحان بكتاب رسول الله إلى عامر بن الطفيل، فلم ينظر عامر في الكتاب وألقاه عن يمينه، وأومأ إلى رجل بقتل حرام من ملحان رضي الله عنه، فطعنه القاتل بحربة في ظهره فلما رأى حرام الدم يخرج من بدنه من أثر الطعنة أخذ بيديه الدم وأخذ يمسح به وجهه، ويقول: «فزت ورب الكعبة». ويكرر هذه العبارة فرحًا باستشهاده في سبيل الله حتى سقط على الأرض شهيدًا، وكان هذا القول والفعل من حرام بن ملحان دليلًا على صدقه في طلب الشهادة جعل قاتله وهو جبار بن سلمى يتعجب كيف فاز؟ وقد قتله وجعل يسأل هذا السؤال: كيف فاز؟ وذهب إلى المدينة يسأل: كيف فاز وقد قتلته؟ قالوا: فاز بالجنة؛ لأنه قُتل شهيدًا وعرف جبار قيمة الشهيد في الإسلام، وعلم أن هناك دارًا أخرى غير الدنيا يعمل لها المسلمون، وأن هذه الدنيا وسيلة للدار الآخرة فأعلن إسلامه، وكانت هذه العبارة التي قالها حرام بن ملحان سبب إسلامه.

٢- عاقبة الطغيان:

لقد غدر عامر بن الطفيل بحرام بن ملحان رسول رسول الله، ولم يحترم حتى أعراف الجاهلية أن الرسل لا تُقتل، وليس هذا فحسب بل قام بتأليب القبائل ضد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حتى قتلوهم، وقد فعل عامر ذلك لأنه متكبِّر يحب الزعامة والرئاسة، وقد جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد عرض النبي صلى الله عليه وسلم عليه الإسلام، فكان من طغيانه وفجوره أن قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إني أعرض عليك ثلاثة أمور حتى أسلم، وهي: أن يكون لك السهل ولي المدر، أو أكون خليفتك من بعدك، أو أغزوك بأهل غطفان، وهذه العروض إن دلت على شيء إنما تدل على رغبة هذا المتكبِّر في الملك وتعلقه بالدنيا وعدم فهمه للإسلام، ولما كان هذا حال عامر وقد فعل ما فعل، وقال ما قال، وزعم ما زعم، دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «اللهم اكفني عامرًا واهد بني عامر». (أورده ابن كثير في البداية والنهاية).

فأصيب الطاغية بمرض عضال: (غدة كغدة البعير)، أدى إلى مقتله شر قتله، وتلاشت أحلامه في الملك، وذهب تهديده هباءً، (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة: إن أخذه أليم شديد).

ثالثًا: دروس من الحادثين معًا:

١- الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب:

« قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ » (الأعراف:١٨٨).

٢- لا بد للدعوة من تضحيات:

قال الدكتور البوطي رحمه الله: «يدل كلٌّ من حادث الرجيع وبئر معونة على اشتراك المسلمين كلهم في مسؤولية الدعوة إلى الإسلام، وتقصير الناس بحقيقته وأحكامه، فليس أمر الدعوة مؤكلًا إلى الأنبياء وحدهم، وإنك لتشعر مدى أهمية الدعوة وأهمية القيام بها من إرسال الرسول لهؤلاء السبعين ولم يمض وقت طويل على مقتل إخوانهم في حادث الرجيع».

٣- سؤال وجواب:

يطرح الدكتور البوطي في هذا الصدد سؤالًا ثم يجيب عنه، والسؤال هو: فما الحكمة من تمكين يد الغدر من هؤلاء الفتية المؤمنين الصادقين؟

ثم أجاب: الحكمة من ذلك أن تتحقق عبودية المسلم لربه، وليميز الله الصادقين من المنافقين، ويتخذ الشهداء من المؤمنين، وأن يتحقق المعنى الواقعي لتنفيذ المبايعة التي جرت بين الله وعباده المؤمنين، وصرَّح بها القرآن في قوله تعالى: « إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ » (التوبة:١١١)، وإنما تطوف مثل هذه الأسئلة في رأس من يرى الدنيا هي الغاية، وتلك آفة ضعف الإيمان أو عدمه في بعض النفوس، أما المؤمنون حقًا فيعرفون غايتهم ويعملون لها كما رأينا في كلام حرام بن ملحان، وفرحه بالشهادة، وغيره كثير». انتهى هذا النقل مختصرًا من فقه السيرة (ص٢٠١).

وقد طرح الدكتور أبو شهبة قريبًا من هذا السؤال، وأجاب:

«١- إن حفظ الجوار كان من خيرة فضائل العرب حتى في الجاهلية، وقد أرسلهم النبي في جوار رجل له مكانته ومنزلته في بني عامر، وهو أبو براء، ولذلك لم يقدر بنو عامر أن يخفروه في جواره فاستصرخ عليهم عامر بن الطفيل قبائل بنو سلم.

٢- إيفاد هاتين السريتين لم يكن إلا حلقة من حلقات الجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى هذا الدين، والسهر على نشره بشتَّى الوسائل، أليس غاية ما يحتمل أن يموتوا شهداء، وهذا ما يرجوه كل مسلم. وصدق الله: « قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ » (التوبة:٥٢)؛ إما النصر والغنيمة، أو الموت والشهادة». اهـ من السيرة النبوية (ص٢٤٢).

٤- لم يكن حُفَّاظ القرآن من الصحابة كما وصفهم المنافقون بأنهم طلاب دنيا يأكلون بالقرآن، بل كانوا يعملون بأيديهم، ويأكلون من عمل أيديهم، فهؤلاء سبعون استشهدوا في حادثتي غدر حيث كانوا في المقدمة، وسبعون غيرهم استشهدوا في حروب الردة في زمان عمر، مما حَدَا بعمر رضي الله عنه أن يكثر من الإلحاح على أبي بكر- الخليفة يومئذ- بجمع القرآن في مصحف واحد ليحفظ كتاب الله في السطور كما حُفظ في الصدور.

إذن كان القُرَّاء من الصحابة هم أهل القرآن حقًا كما جاء في حديث النواس بن سمعان: «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا ...». الحديث رواه مسلم.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم،

والحمد لله رب العالمين.

الحلقة الثالثة

إعلام المسلمين والمسلمات بما جاء في العقارب والحيات

إعداد / المستشار/ أحمد السيد علي إبراهيم

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبّد، أما بعدُ: فنواصل حديثنا في توعية المسلمين بخطورة العقارب والحيات، والحرص على تحصين الناس من لدغاتها، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الوقفة الحادية عشر: الحية، والعقرب من الفواسق

وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم، الحية فاسقة، والعقرب فاسقة.

فعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الحيَّةُ فاسقةٌ، والعقرَبُ فاسقةٌ، والفأرةُ فاسقةٌ، والغُرابُ فاسقٌ" (رواه ابن ماجه وصححه الألباني)

قال ابن تيمية - رحمه الله - في " مجموع الفتاوى ": "وسماهن فواسق؛ لأنهن يفسقن: أي يخرجن على الناس ويعتدين عليهم فلا يمكن الاحتراز منهن كما لا يحترز من السباع العادية". اهـ.

الوقفة الثانية عشر: الأمر بقتل الحية والعقرب:

لضررهما البالغ على البشر، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلهما ولو في الصلاة؛ فعن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اقتلوا الحيةَ والعقربَ، وإن كنتم في الصلاة" (رواه أحمد، وصححه الألباني).

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقتُلوا الحيَّات. ولم يقل: ذا الطُّفيَتَيْنِ والأبتر" (رواه مسلم).

وَهَذَا تَرْخِيص وَإِبَاحَة وَإِنْ كَانَتْ صِيغَته صِيغَة الْأَمْر؛ لِأَنَّ قَتْلَه لَيْس مِنْ أَعْمَال الصَّلَاة حَتَّى لَوْ عَالَجَ مُعَالَجَة كَثِيرَة فِي قَتْله تَفْسُد صَلَاته، لِأَنَّه عَمَل كَثِير لَيْس مِنْ أَعْمَال الصَّلَاة.

كما أمر بقتلهما ولو كان المسلم محرمًا:

فعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أربعٌ كلُّهن فاسقٌ. يُقتلْنَ في الحل والحرم: الحدأةُ، والغرابُ، والفارةُ، والكلبُ العقورُ. قال فقلت للقاسم: أفرأيتَ الحيةَ؟ قال: تُقتل بصُغرٍ لها" (رواه مسلم)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خمسٌ قتلُهُنَّ حلالٌ في الحرَم: الحيةُ والعقربُ والحدأةُ والفأرُ والكلبُ العقورُ" (رواه أبو داود، وحسنه الوادعي).

ولنعلم أن معنى الأحاديث أن المحرم للحج أو العمرة لا يأثم إذا قتل أحد هذه الدواب الخمس، فلا جناح عليه في قتلهن.

الوقفة الثالثة عشر: الحث على قتل الحيات، ولو لم يصبها المسلم:

وقد حثَّ النبي صلى الله عليه وسلم على الأخذ بأسباب التخلص منها، حتى ولو لم تتحقق النتيجة المرجوة من وراء ذلك؛ فعن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضى الله عنه قالا: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "كفاكَ الحيةَ ضربةَ السوط، أصبْتَها أمْ أخطأْتَها"

قال الألباني - رحمه الله - في " السلسلة الصحيحة ": "والحديث أخرجه البيهقي في "السنن" من هذا الوجه، وقال: " وهذا إن صح، فإنما أراد-والله أعلم- وقوع الكفاية بها في الإتيان بالمأمور، فقد أمر صلى الله عليه وسلم بقتلها، وأراد-والله أعلم- إذا امتنعت بنفسها عند الخطأ، ولم يرد به المنع من الزيادة على ضربة واحدة، والحديث لم يتكلم عليه المناوي بشيء، فكأنه لم يقف على سنده" اهـ.

الوقفة الرابعة عشر: التحذير من الخوف من قتل الحيات

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ترك قتل الحيات، مخافة طلبهن، أو ثأرهن، ومن فعل ذلك، فليس من العاملين بأوامره صلى الله عليه وسلم، الداخلين في طاعته.

فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقتلوا الحيَّاتِ كلَّهن فمن خافَ ثأرهن فليس مني" (رواه أبو داود وصححه الألباني).

ومعنى الحديث: خاف أن يحصل ثأر منهن، أو أن تناله بأذى إذا أقدم على قتلها، أو أذي من غيرها ممن هو مثيل لها إذا أقدم على قتلها.

الوقفة الخامسة عشر: الأمر بقتل ذي الطفيتين، والأبتر

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل ذي الطفيتين، والأبتر، لأنهما يلتمسان البصر، ويستسقطان الحبل.

فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ يأمر بقتل الكلابِ. يقول "اقتلوا الحيَّاتِ والكلابَ واقتلوا ذا الطُّفيَتَين والأبترَ فإنهما يلتمسانِ البصرَ ويَستسقطانِ الحبالَى". قال سالم: قال عبدُ الله بنُ عمرَ: فلبثتُ لا أتركُ حيَّةً أراها إلا قتلتُها. فبينا أنا أُطاردُ حيَّةً، يومًا، من ذواتِ البيوت، مرَّ بي زيدُ بنُ الخطابِ أو أبو لُبابةَ. وأنا أطاردُها. فقال: مهلًا. يا عبدَ الله! فقلتُ: إنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ أمر بقتلهنَّ. قال: إنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ قد نهى عن ذواتِ البيوتِ" (رواه مسلم).

الوقفة السادسة عشر: النهي عن قتل حيات البيوت قبل إنذارهن

إذا تبدت حيات البيوت لأهل البيت، لم يجز لهم قتلها حتى ينذروها ثلاثًا.

فعن أبي السائب الأنصاري المدني مولى هشام بن زهرة أنه دخل على أبي سعيد الخدريِّ في بيته. قال فوجدتُه يصلي. فجلستُ أنتظرُه حتى يقضيَ صلاتَه. فسمعتُ تحريكًا في عراجين في ناحيةِ البيت. فالتفتُّ فإذا حيَّةٌ. فوثبتُ لأقتلَها. فأشار إلي: أن اجلسْ. فجلستُ. فلما انصرف أشار إلى بيت في الدارِ. فقال أترى هذا البيتَ؟ فقلت: نعم. فقال: كان فيه فتًى منا حديثَ عهد بعُرسٍ. قال فخرجْنا مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ إلى الخندقِ. فكان ذلك الفتى يستأذن رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ بأنصافِ النهارِ فيرجع إلى أهلِه. فاستأذنه يومًا. فقال له رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ " خُذْ عليك سلاحَك. فإني أخشى عليك قُريظةَ " فأخذ الرجلُ سلاحَه. ثم رجع فإذا امرأتُه بين البابَين قائمةٌ. فأهوى إليها الرمحَ ليطعنَها به. وأصابته غَيرةٌ. فقالت له: اكفُفْ عليك رُمحَك، وادخُل البيتَ حتى تنظرَ ما الذي أخرجَني. فدخل فإذا بحيَّةٍ عظيمةٍ مُنطويةٍ على الفراشِ. فأهوى إليها بالرمحِ فانتظَمها به. ثم خرج فركَّزه في الدارِ. فاضطربَتْ عليه. فما يُدرى أيهما كان أسرعَ موتًا. الحيةُ أم الفتى؟ قال فجئنا إلى رسولِ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّمَ فذكرنا له. وقلنا: أدعُ اللهَ يُحييه لنا. فقال " استغفِروا لصاحبكم " ثم قال " إنَّ بالمدينةِ جنًّا قد أسلَموا. فإذا رأيتُم منهم شيئًا فآذنوه ثلاثةَ أيامٍ. فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتُلوه. فإنما هو شيطانٌ" (رواه مسلم).

قال النووي -رحمه الله- في "شرح صحيح مسلم": "قوله صلى الله عليه وسلم: (فآذنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان) قال العلماء: معناه وإذا لم يذهب بالإنذار علمتم أنه ليس من عوامر البيوت، ولا ممن أسلم من الجن، بل هو شيطان، فلا حرمة عليكم فاقتلوه، ولن يجعل الله له سبيلًا للانتصار عليكم بثأره، بخلاف العوامر ومن أسلم. والله أعلم". اهـ.

ويثور تساؤل عن حكم دخول الحيات المتواجدة خارج البيوت- في الحقول، والترع، والمصارف، والصحراء، وغيرها- إلى داخل البيوت، ورؤية

أصحابها لها حال الدخول، هل تقتل على الفور، أم تنذر قبل القتل؟!

والإجابة -والله أعلم- أنها تقتل على الفور، وذلك لأن علة عدم قتل حيات البيوت على الفور، وإنذارهن قبل القتل، خشية أن تكون من مسلمي الجن التي تسكن البيوت، فيلحقها أذى القتل، بينما هذه العلة غير موجودة في الحيات التي تعيش خارج البيوت، والتي ورد الأمر بقتلها على الفور دون إنذار.

الوقفة السابعة عشر: التحريج على حيات البيوت، وصفته:

علمنا فيما سبق أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل حيات البيوت قبل إنذارها، والتحريج عليها، ونتعرف هنا على التحريج وصفته.

قال ابن العربي -رحمه الله- في "أحكام القرآن": "المسألة الرابعة: قال مالك في رواية ابن وهب عنه في التقديم إلى الحيات يقول: يا عبد الله، إن كنت تؤمن بالله ورسوله وكنت مسلمًا فلا تؤذنا ولا تشعفنا، ولا تروعنا، ولا تبدون لنا، فإنك إن تبد بعد ثلاث قتلتك. قال ابن القاسم: قال مالك: يحرج عليه ثلاث مرات ألا يبدو لنا، ولا يخرج.

وقال أيضا عنه: أحرّج عليك بأسماء الله ألا تبدو لنا.

المسألة الخامسة: اختلف الناس في إنذارهم والتحريج عليهم: هل يكون ثلاثة أقوال في ثلاثة أحوال، أم يكون ثلاثة أقوال في حالة واحدة؟ والقول محتمل لذلك ولا يمكن حمله على العموم، لأنه إثبات لمفرد في نكرة، وإنما يكون العموم في المفردات إذا اتصلت بالنفي حسبما بيناه في أصول الفقه، وفيما سبق هاهنا.

والصحيح أنه ثلاث مرات في حالة واحدة، لأنا لو جعلناها ثلاث مرات في ثلاث حالات لكان ذلك استدراجًا لهن وتعريضًا لمضرتهن، ولكن إذا ظهرت تُنْذَر كما تقدم، فإن فرَّت وإلا أعيد عليها القول فإن فرت وإلا أعيد عليها الإنذار ثلاثًا، فإن فرت وإلا أُعيدَ لها الإنذار، فإن فرت وغابت وإلا قتلت" اهـ.

الوقفة الثامنة عشر: النهى عن قتل الجان الأبيض

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم - أيضا - عن قتل الجان الأبيض.

فعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اقتُلوا الحيات كلَّها إلا الجانَّ الأبيضَ الذي كأنه قضيبُ فضة" (رواه أبو داود وقال عنه الألباني: صحيح موقوف).

والجان الأبيض: هي: "الحية الصغيرة الدقيقة الخفيفة الرقيقة البيضاء". (انظر: فتح الباري، وشرح النووي على صحيح مسلم، ومختار الصحاح، والمصباح المنير).

ونقل المحدث أحمد شاكر في "تحقيق المسند": "قال عبد الله بن المبارك إنما يُكره من قتل الحيات الحية التي تكون دقيقة كأنها فضة ولا تلتوي في مشيتها" اهـ.

قال العظيم آبادي -رحمه الله- في "عون المعبود": "(إِلَّا الْجَانَّ الْأَبْيَض) وَلَعَلَّ النَّهْيَ عَنْ قَتْلِ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْحَيَّاتِ إِنَّمَا كَانَ لِعَدَمِ ضَرَرِهِ (كَأَنَّهُ قَضِيبُ فِضَّة)".

الوقفة التاسعة عشر: التوقفُ عن ملاحقتها حال الهرب:

فإذا حاول المرء أن يقتل الحيات المتواجدة خارج البيوت، فهربت منه، فليتوقف عن ملاحقتها، ولا يتابعها فيما اختفت فيه، فقد وقى شرها، ووقيت شره.

فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: "بينا نحنُ معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم في غارٍ، إذ نزَلَتْ عليه: "وَالْمُرْسَلَاتِ». فتلقَّيناها من فِيهِ، وإنَّ فاه لرَطْبٌ بها، إذ خرَجَتْ حيَّةٌ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (عليكمُ اقتُلوها). قال: فابتَدَرْناها فسبَقَتْنا، قال: فقال: (وُقِيَتْ شرَّكم، كما وُقِيتُم شرَّها)" (رواه البخاري).

وعنه - أيضا- قال: "كنَّا معَ رسولِ اللَّهِ ليلةَ عرفةَ، الَّتي قبلَ يومِ عرفةَ فإذا حَسُّ الحيَّةِ، فقالَ رسولُ اللَّهِ: اقتُلوها فدخَلت شقَّ جُحرٍ، فأدخَلنا عودًا، فقلَعنا بعضَ الجحرِ، فأخَذنا سَعفةً، فأضرمنا فيها نارًا، فقالَ رسولُ اللَّهِ: وقاها اللَّهُ شرَّكم، ووقاكُم شرَّها" (رواه النسائي، وقال الألباني: صحيح لغيره).

والحمد لله رب العالمين

قواعد التعامل مع العلماء

إعداد / د. عبد الرحمن بن صالح الجيران

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

إتمامًا لما سبق من الحديث عن العلاقة بين الشباب والشيوخ، نكمل ما كان الحديث بصدده، عن قواعد التعامل مع العلماء، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

ومن القواعد الشرعية العظيمة والمفيدة في هذا الباب:

أولا: قاعدة طاعة العلماء واجبة وهي داخلة في طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

والأدلة على ذلك كثيرة، ونذكر منها قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ» (النساء:٥٩)، وجاء في تفسير الطبري من تفسير ابن عباس رضي الله عنهما أن أولي الأمر هم العلماء.

ولحديث: «إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر». (صحيح الجامع: ٦٢٩٦).

وإذا قلنا: إن للعلماء اعتبارًا فليس معنى هذا تقديس ذواتهم وأشخاصهم ورفعهم فوق مكانتهم، بحيث نشابه اليهود والنصارى، حيث: «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» (التوبة:٣١)، فقد اتبعهم الناس على جهل فأحلوا لهم الحرام فأحلوه وحرموا عليهم الحلال فحرموه.

والذي يجب أن ينتبه له الشباب أن سؤال العلماء ليس سؤالا عن رأيهم الشخصي ولا عن حكمهم الذاتي بل سؤالا عما يفهمونه عن الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا أخذ الشاب الذي يجهل حكم الله بفتوى عالم موثوق في دينه وعلمه فقد أعذر إلى الله عز وجل.

وهذا المعنى المتقدم هو الذي لاحظه ابن القيم رحمه الله حين وسم كتابه بـ«أعلام الموقعين عن رب العالمين».

فالعلماء الراسخون بفتاواهم إنما هم موقعون عن الله تعالى والتجرد من الهوى؛ لأنه مخبر عن الله تعالى وإن أفتى الناس على حسب أهوائهم أو لغرض في نفسه أو لمن يحابيه كان مفتريًا على الله تعالى، والله تعالى يقول: «وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ» (النحل:١١٦).

وحديث: «من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار».

قال ابن القيم رحمه الله: «لا يجوز العمل والإفتاء في دين الله بالتشخيص والتخيير وموافقة الغرض، فيطلب القول الذي يوافق غرضه وغرض من يحابيه، فيعمل به ويفتي به، ويحكم على عدوه ويفتيه بضده وهذا من أفسق الفسوق وأكبر الكبر». (إعلام الموقعين ٤/٢١١).

كما نظر العلماء أيضًا إلى خوارم المروءة وعدوها من أسباب رد الفتوى إذا وقع المفتي في خوارم المروءة.

قال النووي رحمه الله: شرط المفتي كونه مكلفًا، مسلمًا، ثقة، سليم الذهن، رصين الفكر، صحيح التصرف والاستنباط، متيقظا). (المجموع: ١/٤١).

ولا يخفى خوف علماء السلف

من الفتوى وشدة توقيهم وحذرهم مما يصدر منهم وهذا مما يجب أن يتعلمه الشباب ولا يندفعوا بدافع الحماس والغيرة على الدين فيفتوا تارة وينكروا تارة ويصوبوا ويخطؤوا تارات.

قال يحيى بن سعيد: «كان سعيد بن المسيب رحمه الله لا يكاد يفتي فتوى ولا يقول شيئًا إلا قال: اللهم سلمني وسلم مني». (الآداب الشرعية لابن مفلح: ٦٦/٢).

قال ربيعة: قال لي ابن خلده رحمه الله: «يا ربيعة أراك تفتي الناس فإذا جاءك رجل يسألك فلا يكن همك أن تخرجه مما وقع فيه، وليكن همك أن تتخلص مما سألك عنه». (الفقيه والمتفقه: ٥٢/٢).

وقال إمام السنة الإمام أحمد رحمه الله: ليتق الله عبد ولينظر ما يقول وما يتكلم فإنه مسؤول. (الآداب الشرعية لابن مفلح ٦٢/٢).

وقال الأشعث رحمه الله: «كان محمد بن سيرين إذا سئل عن شيء من فقه الحلال والحرام تغير لونه وتبدل حتى كأنه ليس بالذي كان». (رواه أبو نعيم).

فإذا كان هذا حال السلف في الفتوى وفي مسائل هي من المسائل العملية الحلال والحرام فما بالنا نرى الشاب يهتز طربًا عندما يُسأل عن المدلهمات!! وتجده يبادر إلى الفتوى أحيانًا من غير استفتاء!!

القاعدة الشرعية الثانية: وجوب التزام الجماعة:

وهذه قاعدة جليلة عظيمة النفع لو تعقلها الشباب وتدبروها وآثارها لحصل بها نفع عظيم واندفع بها شر مستطير، قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ (آل عمران:١٠٣)، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ (الأنعام:١٥٩)، وقال: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (هود:١١٨-١١٩).

وقال صلى الله عليه وسلم: «وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة». (صحيح الجامع: ٢٦٤١).

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي؛ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ. قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا. قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا. فَقَالَ: هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ. قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ» (متفق عليه).

ففي هذه النصوص دلالة واضحة على أن الاختلاف واقع في هذه الأمة، وأن عامة المختلفين هالكون إلا أهل السنة والجماعة.

وتبرز أهمية الاعتصام بحبل الله في الفتن والنوازل العظيمة التي يختلط بها الغث بالسمين وتنطق به الرويبضة ويهيج بها الرعاع والدهماء ويتشيخ الشباب، وكما يقال يتزبب قبل أن يتحصرم، ولا يقتصر الأمر على هذا بل يقدم رأيه على رأي كبار العلماء، ثم ينشق عنهم ويكون له جماعة ويرفع راية ويدعو إلى منهج جديد، ويضع له شعارًا وراية وهكذا.

فتأمل وتدبر فقه هذا الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري رضي الله عنه لما جاءه بعض الشباب المتحمس من أهل العراق وذلك عندما سمعوا أنه خرج إلى الربذة واقترحوا عليه الخروج على الخليفة المسلم وكان بإمكانه أن يفعل ذلك ويلبي نداءهم ولكنه الإخلاص لله تعالى وحده وتقوى الله تعالى والاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم وعدم شق الطاعة.

فعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: لما خرج أبو ذر إلى الربذة لقيه ركب من أهل العراق، فقالوا: يا أبا ذر قد بلغنا الذي أصابك فاعقد لواء يأتك رجال ما شئت، قال: مهلًا مهلًا يا أهل الإسلام؛ فإني سَمعتُ رَسولَ الله يَقولُ: سيَكونُ بَعدي سُلطانٌ فأعِزُّوه، مَن التَمَسَ ذُلَّه ثَغرَ ثُغرةً في الإسلام، ولَمْ يُقبَلْ منه تَوبةٌ حتى يُعيدَها كَما كانتْ». (رواه ابن أبي عاصم في السنة: ١٠٩٧).

وكان بوسعه رضي الله عنه أن يقوم بذلك لأن هذا باب إصلاح، وباب الإصلاح دعاته كثير ومدعوه أكثر.

لكنه رضي الله عنه لم يرد تهييج الناس وإثارة الفتن وإيقاد حماة الخروج والإفساد في الأرض بل لا بد من الصبر على الإمام المسلم الجائر.

وللحديث بقية إن شاء الله.

NEW PRESSDAN

NEWPRESSDAN

متخصصون في صناعة الكرتون المضلع

منذ عام ١٩٨٢

٣٥ سنة

شركة نيوبرسدان للطباعة

العاشر من رمضان - المنطقة الصناعية ب ١ - قطعة رقم ب ٢ - VII

تيلفون: ٢٠/٢١/٢٢ - ٠٥٥٤٩٩٠١٩+٢٠ - فاكس : ٠٥٥٤٩٩٠٢٤+٢٠

info@newpressdan.com

www.newpressdan.com

pressdanegypt newpressdan

عرض
خاص
مفاجأة كبرى
لمدة شهر ونصف
ابتداءً من ربيع الأول ١٤٤٠هـ
حتي ١٥ ربيع الآخر ١٤٤٠هـ
التوحيد
ثمن الكرتونة
٨٠٠ جنيه بدلاً من ~~١١٠٠~~
مجلات التوحيد مكتبة علمية ..
المكتبة الإسلامية
المكتبة العامة
مكتبتك الخاصة
الأسرة المسلمة
سارع بحجز نسختك خلال مدة العرض
الشراء فقط من مبنى جماعة أنصار السنة بالمركز العام بالدور السابع
في حالة شراء كرتونتين يتم احتسابهم بـ ١٥٠٠ جنيه بدلا من ٢٢٠٠ جنيه
للاستفسار.. يرجى الاتصال
بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد
23936517